7me Année No. 295

Lundi - 27 - 2 - 1939

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسؤل
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٢٩٥ «القاهرة فى يوم الاثنين ٨ محرم سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٧ فبراير سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

الفهـــــــرس

إن فى ذلك لعبرة

غنى فقـــير ...!

قد يكون مع بعض الفقر عزاء ورجاء وسكينة ؛ ولكن فقر هذا الغنى البائس الذى سأقص عليك نبأه ألمٌ لا يهاون، وهمٌ لا يهادن، وحمَّى لا تُقْلِع

سأسوق إليك خبر هـذا المسكين بقلمى لا بقلمه، فإن الرسالة التى كتبها إلىّ كلماتٌ كحسرات النادم لا تتصل، ومقاطع كأنَّات المحتَضَر لا تبين . على أننى سأحاول ترجمتها لك ترجمة الشعور للشعور، لا ترجمة اللفظ للفظ، لترى كيف يشقى المرء بخطأ نفسه، أكثر مما يشقى بخطأ غيره

قال بعد أن سلم وعظم وشكر :

« قرأت وأنا فى وحدتى السامة وعلتى القاتلة ما كتبتَ من مآسى الحياة فى الرسالة، فراعنى أن يبلغ البؤس ببعض النفوس إلى هذا الحد، وفى أرض الله رزق لا ينضب، وفى يد الناس مال لا ينفد !

ولا أكذِبُ الله لم أفطن إلى معنى الحرمان والإحسان إلا بعد أن نيفت على الستين وأقعدنى الكُساح، وسلبنى حريتى وثروتى وغبطتى من جعلت حياتى له، ووضعت أملى فيه

أنا أملك ربع مليون من حر المال وخالص الذهب . وكان يخيل إلىّ قبل أن ينكشف الغطاء عن العين أنى أسبح فى بحر أحمر لا أدرى أكانت حمرته من الذهب أو من الدم أو من الدموع ،

فإني كنت مصمت القلب لا يختلج فيه شعور ولا ترف عليه عاطفة. فلما بلغت الشاطئ لأستجم وجدتني على ساحل الحياة، هنا الموت الراصد، وهنا المرض المثبت(١)، وهنا الضمير المعذب، وهنا الوارث الحاقد الذي دفنني وأنا أشعر، وورثني وأنا أنظر، وحرمني وأنا أريد. فإذا كان في بؤس الفقراء ما يستدر ماء العيون، فإن في ذل الأغنياء ما يذيب شغاف الأفئدة!

أتدري كيف جمعت هذا المال يا سيدي؟ جمعته بالسعي الدائب، والتدبير المعجز، والربا الفاحش، والشح الدنيء، والتقتير المهلك؛ ثم أمات الله في نفسي نوازع الأبوة والقرابة والإنسانية فلم تبضّ يدي في سبيل شيء من ذلك، فنما المال واتسع وامتد حتى صرفني عن الناس وشغلني عن العالم. ثم حسبتني بهذا الثراء الضخم أستطيع أن أشتري السعادة والسيادة والإيمان والجنة، فإذا بي وا حسرتاه أملك مفاتيح قارون ولا أملك عصا موسى!

كان رأس مالي جنيهات معدودات ادخرتها من نفقاتي وأنا طالب بالأزهر، فلما عدت إلى بلدي استثمرتها في الربا والتجارة، فكنت أقرض الزراع المأزومين والعمال المعوزين والتواجر الأرامل ربا خمسة قروش في الشهر للجنيه الواحد. ثم اتخذت من فناء بيتي قُنّاً للدواجن، ومن سطحه مزرعة للبقول؛ فكنت أبيع الدجاج والأرانب من تحته، والفجل والكراث من فوقه؛ وألححت على نفسي بكبت الشهوة وقتل الرغبة إذا اعتدتا على المال، حتى كنت أرى الفاكهة عند الفاكهاني فأتقزز، وأبصر اللحم عند القصاب فأهُوع(٢)، ولكنني إذا لمحتهما في يد إنسان تبعتهما نفسي وتحلّب عليهما فمي. ثم اقتنيت العقار والضياع؛ أكثرها بغَلَق(٣) الرهان وأقلها بالشراء؛ وقمت عليها أحسنَ القيام بالرعاية والجباية والتوفير حتى غدت غلتها سيلاً لا ينقطع عن الأهراء(٤) والخزائن. ثم فرضت نفقة أسرتي من الطعام والإدام على مستأجري المزارع والدكاكين يؤدونها فوق الأجرة يوماً بيوم؛ واقتصرت في غذائي على الأبيضين: الماء والثريد، وفي كسوتي على جلابيب من القطن للبيت والغيط، وبذلة من الصوف للاحتفال والسفر. ثم وقع في نفسي أن حماية هذه الثروة العريضة لا بد لها من لقب (بك) فاشتريته أيام كانوا يبيعون الألقاب، بقبضة من الذهب؛ ثم شيّدت قصراً وبنيت دواراً وجعلت في رأسه دائرة، فاتسع النفوذ وامتد السلطان، وصرت آمر ولا أرجو، وأغتصب ولا أختلس. ورأيت الناس يلقونني بالإجلال والهيبة لفخامة اللقب وضخامة الثروة، فازدادت نفسي شراهة ويدي كزازة؛ وأفرط عليّ الغنى فغطى على بصيرتي وبصري، فلم أعرف أن لي ديناً له حرمة، وزوجة لها حق، وأولاداً لهم رعاية؛ وعشت لنفسي بل لمالي، أقضي النهار له، وأسهر الليل عليه، حتى كرهتني أسرتي، وحقّرتني عشيرتي، وسئمتني حياتي، وأصبت بمرض عُقام برى عظام ساقي ونخذي فلم أستطع المشي ولا النهوض؛ واستولى ولدي البكر على مفاتح الكنوز وأضفى على نفسه وزوجه وأمه وأخواته الذهب والحرير والنعيم والأبهة، وتركوني سطيحة في حجرة منعزلة لا يدخلها عليّ إلا الخادم بالماء والثريد والقهوة. ولا أدري لماذا استعرت في نفسي اليوم شهوة الأكل ورغبة المتاع؛ فأنا أشتهي كل شيء، وأبتغي كل معنى؛ ثم أنظر في يدي الجمّاعة الكسوب فإذا هي معروقة كيد المسلول، فارغة كراحة السائل؛ وأدور بعيني في الحجرة الموحشة فأرى أطياف الذين فجعتهم في أموالهم وآمالهم تخفق على الجدران ساهمة حزينة، فأتذكر كم مدين أغرقت، وكم بيت أغلقت، وكم قلب سحقت، فتنهل مدامعي انهلالَ القَطْر على خدي الغائر الشاحب؛ وأتمنى لو تعود قدرتي على ثروتي فأمحص خطاياي بإنفاقها كلها في سبيل الله؛ ولكن هيهات هيهات لما أرجو! لم يبق لي منها إلا حريق القلب في الدنيا، وحريق الجسم في الآخرة! حتى الدواء لا أناله، وحتى الكفن لا أرجوه! وكأنما أمات الله نصفيَ الساعي وأبقى على نصفيَ الشاعر لأدرك بعيني وفكري وخيالي مضّ الألم الذي يحسه المظلوم يُغتصب ولا يستطيع أن يدفع، والمحروم يتشهى ولا يستطيع أن يجد، والمهموم يتلظى ولا يملك أن يموت.»

ثم يلي ذلك شكوى ضارعة من زوجه الفارك وابنه القاسي وصهره المتعجرف لا تتسع لها الصفحة!

* * *

سيدي البك! إن حالك لا تغني فيها دمعة تذرف ولا كلمة تقال. أدع الله معي أن يتغمد خطاياك بالعفو، ويقطع بلاياك بالموت. وإن كنت في حياتك للضعيف شقاء وللأهل حسرة، فإنك في موتك للفقير عزاء وللغني عبرة!

احمد حسن الزيات

(١) المرض المثبت هو الذي يمنع من الحركة
(٢) أهوع: أقيء
(٣) غلق الرهن إذا لم يقدر الراهن على افتكاكه في الوقت المشروط
(٤) الأهراء جمع هرى وهو مخزن القمح

الشهرة والجماهير

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازني

في سنة ١٩٠٩ كنت ألازم من الأدباء صديقنا المرحوم الأستاذ محمد السباعي صاحب كتابي «الصور» و «السمر» ومترجم قصة «المدينتين» لدكنز و «الأبطال» لكارليل و «التربية» لسبنسر وعشرات من الكتب الأخرى. وما أظن بأبناء هذا الجيل إلا أنهم يجهلونه ولا يعرفونه ولا يخطر لهم أنه عاش على ظهر هذه الأرض، وكان له فضل على الأدب الحديث. وأحسب أنه سيكون عليّ أن أعرفهم وأذكرهم به إنصافاً له وقضاء لحقه علي فإن له لديناً في عنق

وكان السباعي — رحمه الله — منهوماً بالأدب لا يشبع، وعاشقاً لا يسلو؛ وقلما رآه أحد إلا وفي يده كتاب أو كراسة. ولا أدري ماذا لفته إلى ابن الرومي، ولكن الذي أدريه أنه كان يذهب إلى دار الكتب وينسخ ديوان ابن الرومي في كراسات ويحفظ أكثر شعره عن ظهر قلب فأعداني بحب هذا الشاعر المنكود الحظ فقلدته واستنسخت شعره؛ فلما كلت عندي نسخته شرعت أبيضها في كراسات بعد تصحيح ما يوفقني الله إلى تصحيحه من الأغلاط التي لا آخر لها في نسخة دار الكتب

وكان صديقنا الأستاذ السيد عبد الرحمن البرقوقي قد أصدر مجلة البيان فاقترح عليّ أن أكتب عن ابن الرومي ففعلت؛ وكان هذا حافزاً آخر لدرسه، ولكن الحرب صرفتني عن مواصلة الكتابة فانقطعت عنها إلى سنة ١٩٢٤. وفي أثناء ذلك ظهر الجزء الأول من ديوان ابن الرومي شرح المرحوم الشيخ شريف ثم الثاني بعد وفاته، ومختارات من شعر ابن الرومي جمعها الأستاذ كامل الكيلاني، فوصلت ما انقطع وعدت إلى الكتابة عن ابن الرومي في جريدة الأخبار وجمعت ذلك كله ونشرته في كتابي «حصاد الهشيم» وكان من توفيق الله بعد ذلك لهذا الشاعر المغمور أن عني به صديقنا الأستاذ العقاد فتناوله بالبحث الوافي والدرس الدقيق في كتابه الجليل عنه

وهكذا برز ابن الرومي من ظلمة الخفاء ونضيت عنه الأكفان التي ظل ملفوفاً فيها أكثر من ألف سنة

خطر لي وأنا أدير هذا في نفسي أن في العالم من أبناء اللغة العربية أكثر من مائة مليون، وأن من هؤلاء نحو عشرة ملايين يقرأون ويكتبون، فكم من هؤلاء يقرأ ابن الرومي والمتنبي والمعري والشريف وأبا تمام والبحتري وأبا نواس وغيرهم وغيرهم ... ؟ لا أكثر من بضعة آلاف قليلة. وجل هؤلاء يقتنون الكتب كما يقتنون التحف ويرصونها للزينة لا للاطلاع، ويتخذونها كما يتخذون السجاجيد والزهريات والصور وما إلى ذلك. والذين يفتحونها، منهم من يفعل ذلك للتسلي وتزجية الفراغ، والأقلون هم الذين يعنون بالدرس والتحصيل؛ فهم في هذا العالم العربي الطويل العريض لا يعدون بضع مئات. فكأن خلود الأديب في أخلاد الناس ليس معناه أن السواد الأعظم منهم يعبأون به، بل معناه أن قلة ضئيلة هي التي يرجع إليها الفضل في بقاء اسم الأديب مذكوراً وآثاره منشورة

وهذا هو الخلود — ثلاثة أو أربعة أو أكثر من المجانين بشيء لا يزالون يقرعون الطبول باسم من الأسماء ويلحون به على الناس حتى يوقظوا النفوس لهذا الاسم ويوحوا إليها أن صاحبه جدير بالذكر وأن آثاره تستحق الاقتناء

ومن كان لا يصدق فليسأل نفسه: هل شهرة المتنبي مثلاً ترجع إلى تعلق رجل الشارع به ... أليس الواقع أنه لو كانت شهرته رهناً بعناية الرجل العادي به لما طال عمرها أكثر من بضعة أيام — أسبوع على الأكثر ... والمتنبي مع ذلك أشهر شعراء العرب، وحكمه لا تزال تدور بها الألسنة وتجري بها الأقلام، وديوانه يعاد طبعه كل بضعة أعوام مرة. ولكن كم نسخة تطبع من ديوانه في كل مرة ؟ ألفان .. ثلاثة آلاف .. أربعة آلاف .. في عالم عربي يبلغ عدد القراء فيه عشرة ملايين أو خمسة على الأقل إذا جادلت ... فما ظنك بحظ الذين هم أقل منه شهرة ..؟

والمدارس والجامعات تخرج فى كل عام — فى هذا العالم العربى — عشرات من الآلاف تلقوا دروساً فى الأدب ، وعرفوا أسماء الأدباء وألموا إلى حد ما بخصائص فنونهم ومميزات آثارهم ، ومع ذلك تبقى ثلاثة آلاف نسخة من ديوان شاعر كالمتنبى محتاجة إلى أكثر من عشر سنوات لتنفد ... ولولا أن فى كل جيل بضعة مجانين بالأدب لا يكفون عن الصياح بأن المتنبى شاعر فحل وأنه رجل عظيم ، وأنه جدير بأن يقرأ ويدرس لبقيت هذه الآلاف القليلة من نسخ ديوانه مكدسة فى مخازنها لا تجد لها طالباً

هؤلاء المجانين القليلون هم الذين ينقذون الشهرات من الفناء ويبقونها حية جيلاً بعد جيل . فإن لكل جيل مجانينه الذين لا يزالون يبحثون وينقبون حتى يعثروا على عظيم مقبور كما يفعل المنقبون عن آثار المدنيات التى عفى عليها الزمن — لا يعروهم فتور ولا يدركهم ونى ؛ حتى ليكاد المرء يعتقد أنه لا خوف من بقاء عظيم مدفوناً وحقه مهضوماً وفضله مطوياً أو مجحوداً . وقد لا يكون فى هذا ما يعزي العظيم ، ولعله شبيه بمنح القتيل فى ساحة الحرب وساما على سبيل الاعتراف ببسالته ، والشهادة بحسن بلائه ، ولكنه على كل حال يجدى بأن يمنع اليأس من إنصاف الدنيا ولو بعد الأوان .

وحتى حين يفوز المرء فى حياته بالشهرة التى يستحقها — أو لا يستحقها كلها — عند الجماهير يكون الفضل فى بقاء هذه الشهرة للقلة المتحمسة ، لا للكثرة التى لا تلبث أن تذهل عما أحبت ومن أحبت . وبهذا وحده تظل الجماهير تذكر وهى لا تفعل ذلك عن اقتناع أو فهم وإدراك صحيح لاستيجاب الشهرة، بل لأن هؤلاء المجانين الذين لا يخلو منهم زمن يقولون لها عشرة آلاف مرة أو عشرين ألف مرة إن فلاناً عظيم وحقيق بالذكر والتخليد ، فتصدق وهى لا فاهمة ولا مدركة . ويقصد آحاد من هذه الجماهير التى فعل الإيحاء فى نفوسها فعله — إلى المكاتب ويشترون ديوان المتنبى ويضعونه على الرف ويفركون أيديهم وهم فرحون باقتناء هذه التحفة التى آمنوا بأنها خالدة وأنها أبقى على الزمن من الزمن

وتسأل : لماذا يجن هؤلاء الأقلون بخارجيات السلف، فلا تجد جواباً يقنع العقل وتسكن إليه النفس . ولن تعدم من يقول لك إن سر هذا الجنون هو ما فى هذه الآثار من الحق والحكمة والفكاهة والجمال ، ولكن هذه لا تزال ألفاظاً تتطلب معانيها التحديد ، ومن العبث أن تلعب لى بها وتصنع لى منها توافيق وتباديل ، وتزعم أن هذه هى المعانى التى تفهم من هذه الألفاظ التى نشعر بدوران معانيها فى النفس وتعيينا العبارة الدقيقة عنها ... أو هذا على الأقل حالى أنا معها . وإذا كان شاعر مثل « كيتس » يستطيع أن يقنع نفسه بأن الجمال هو الحق ، وأن الحق هو الجمال ، ولا يحتاج بعد ذلك إلى كلام أو شرح أو بيان ، فإنى أنا مع الأسف لا يكفينى هذا وإن كنت آنس من نفسى حب كل هذه والسرور بها سروراً ليس مرجعه إلى الفهم .

ابرهيم عبد القادر المازنى

اسمعوا صيحة الحق

للدكتور زكى مبارك

أخى الأستاذ الزيات :

ما هذا الذى نشرته فى مجلتك لبعض أدباء لبنان ؟ وكيف جاز أن تقول : « إن فى الاطلاع عليه فائدة من جهة صوابه ومن جهة خطأه » وهو بعيد كل البعد من الصواب ؟

أفى الحق أن أدباء لبنان ينافسون أدباء مصر ؟

ليت ذلك كان صحيحاً . فقد شقينا من غير طائل فى البحث عن المنافسين حتى خشينا أن تفتُر عزائمنا لقلة من نساول ونقاتل من أقطاب البيان

إن ذلك الأديب اللبنانى دلنا على أن العقل فى بعض البيئات الأدبية فى لبنان لا يزال فى طور الطفولة البريئة ، وكل شىء من الأطفال الأبرياء مقبول

ألم يقل إن مصر لم يصدر فيها كتاب واحد ذو قيمة لمؤلف مصرى صميم ؟

فإن لم يكن هذا الحكم من أحكام الأطفال الأبرياء ، فكيف تكون أحكام الأطفال الأبرياء ؟

***

ولنفرض أيها الأخ أن مصر ليس لها وجود أدبى كما يتوهم بعض أهل لبنان ، فهل لكم أن تدلونى على الأسباب الصحيحة التى قضت بأن يبذل المستعمرون ما يبذلون ليشوهوا سمعة مصر فى الأقطار العربية ؟

هل لكم أن تدلونى على الأسباب التى قضت بأن يشقى المستعمرون فى الحيلولة بين مصر وبين الأقطار العربية ؟

إن المستعمرين يعرفون أن مطامعهم فى الشرق لن تتحقق إلا يوم تضعف اللغة العربية ويضعف سحر المصحف ؛ وهم يعرفون أن مصر تستقتل فى سبيل اللغة العربية وفى سبيل المصحف ؛ ولبعض ساستهم الكبار كلمة مأثورة وصلت إلى أسماع من فى القبور وإن لم تصل إلى آذان بعض الأحياء !

وأنا لا أتهم من يشوهون سمعة مصر الأدبية بأنهم يخدمون بعض الأغراض الشيوعية أو الاستعمارية ، فذهنى لا يسيغ أن يكون فلان وفلان من أهل الضلال ؛ ولكنى أرجو أن يتنبه فلان وأشياع فلان إلى أنهم يخدمون المستعمرين من حيث لا يشعرون . والغفلة قد تكون أقبح من الإثم الصريح

وما الذى ينقم بعض أدباء لبنان من الطمن فى الثقافة المصرية؟ أيستطيعون أن يدّعوا أن فى مقدورهم أن يمُدُّوا أهل بلادهم بكل ما تتطلع إليه الأذواق والعقول ؟

أيستطيعون أن يدّعوا أن أهل بلادهم من القناعة والزهد بحيث يكتفون بما يصدر فى لبنان من مؤلفات وجرائد ومجلات ؟

أيستطيعون أن يدّعوا أن أدباء مصر لا يملكون من وسائل العناد والغطرسة ما يملك بعض أدباء لبنان يوم يستعر الجدال ؟

أيستطيعون أن يدّعوا أننا سنصفح أبد الدهر عن تطاول بعض الناس فلا نجزيهم عقوقاً بعقوق ؟

***

لقد زرت لبنان ، فماذا رأيت ؟

رأيت الطبيعة ورأيت الناس ، ويعزّ علىّ أن أصرح بأن بعض الناس فى لبنان يصدّون النفوس عن التطلع إلى جمال الطبيعة فى لبنان.

وما الذى يهمنا من الجبل وهو صامت لا ينطق ؟ ما الذى يهمنا من جبل لبنان يوم يصح أن أبناءه يؤذون العروبة جاهلين أو عامدين؟

لقد تعقبتنى إحدى مجلاتهم وأنا فى بغداد فكتبت تقول :

« سفير العروبة المصرية فى العراق يطعن صدر لبنان »

وقد كتبت ردًّا مفحماً على ذلك المقال الجائر الظلوم ، ثم طويته ترفُّقاً بلبنان الذى أرجو أن يظل بإذن الله من حصون اللغة العربية . وأنا مستعد لنشر ذلك المقال إن أذن أصدقائى الكرام من أهل لبنان

إن أدباء مصر يملكون من الثروة الذوقية ما لا يملك بعض الناس ، فأدباء مصر هم الذين يشيدون بمحاسن الأقطار العربية ، وهم الذين يُضفون الجمال على كل بلد يحلون فيه ؛ وإلى أقلامهم يرجع السحر الذى يتمتع به جبل لبنان

وأنا مع ذلك أشهد بأننا نرد إلى أهل لبنان بعض ما طوقوا به أعناقنا من وداد : فلمصر فى لبنان مكانة عالية . وفى أدباء لبنان رجال أبرار لا يذكرون مصر بغير الجميل ؛ ومن أجل هؤلاء الرجال الأبرار تتسع صدورنا لما نسمع من فلان وأشياع فلان ، لأننا نعرف أن المرء لا يمثل أمته حين يخطئ ، وإنما يمثلها حين يصيب

ثم ماذا ؟

قالوا : إن مصر مدينة فى بعض نشاطها الأدبى إلى ناس كان أجدادهم من لبنان

وهذا حق

ولكنى أتحداكم أن تثبتوا أن لبنان نبغ فيه أديب واحد ولم يكن مصدر نبوغه الاتصال بالثقافة المصرية

أتحداكم أن تثبتوا أن فى مقدوركم أن تنقلوا إخوانكم فى مصر إلى مرابعهم فى لبنان

إن الأدباء السوريين واللبنانيين لم يذوقوا طعم المجد الأدبى إلا بعد أن شربوا ماء النيل ، وفلان وأشياع فلان سيظلون من النكرات إلى أن يذوقوا ماء النيل

فتعالوا إلينا أيها الإخوان لنحولكم إلى رجال عظماء يسيطرون على الأدب والتاريخ

إن القاهرة تصنع بعقول العرب فى العصر الحديث ما كانت تصنع بغداد فى عصر بنى العباس ؛ فإن استطعتم طمس نور الشمس فامضوا فى عنادكم آمنين !

أتشتم مصر فى لبنان وبفضل مصر تنبه العرب إلى جمال لبنان ؟

* * *

ثم ماذا ؟

ثم زعم فلان وأشياع فلان أن أمثال الدكتور طه حسين والدكتور هيكل والأستاذ احمد أمين والأستاذ لطفى جمعة لم يصنعوا شيئاً ، وأنهم فى مؤلفاتهم لم يكونوا مبتكرين

فهل يستطيع فلان وأشياع فلان أن ينكروا أن لهؤلاء الرجال فضلاً عظيماً فى نشر الثقافة الأدبية والعلمية والذوقية ؟

هل ينكر أحد أن الدكتور طه حسين رجل موهوب وأن صوته وصل إلى المشرقين ؟

هل ينكر أحد أن الدكتور هيكل من أعاظم المتحدثين عن شخصية الرسول ؟

هل ينكر أحد أن الأستاذ احمد أمين وضع أحجاراً متينة فى تاريخ الحضارة الإسلامية ؟

هل ينكر أحد أن لطفى جمعة له أبحاث وفصول تعد من الروائع ؟

ومن هو الأديب الذى يسمح له ضميره بأن يتجاهل أقدار هؤلاء الرجال ؟

قد يتطوع أحدكم فيبعث ما كنت قلته فى طه حسين واحمد أمين

وأنا أعرف أنى قلت فى هذين الرجلين ما قلت باسم النقد الأدبى ، ولكنى مع ذلك أعرف أنهما من أقطاب هذا العصر ، وليس لهما نظير فى لبنان أو غير لبنان ، وسيكون لهذين الرجلين صدى مسموع فى الأقطار العربية يمتد إلى أجيال وأجيال

* * *

أحب أن أعرف لحساب مَنْ يُتعب بعض الناس أنفسهم فى الغض من الثقافة المصرية ؟ فمن المستحيل أن يكون هذا التحامل خالصاً لوجه الله والأدب . ومن البعيد أن تكون تلك النزوات بريئة من شوائب الأغراض

لقد آن أن نعرف أن الاستعمار يغزونا من كل جانب . آن أن نعرف أن الاستعمار يريد أن يتخلص أولاً من تفوق مصر فى خدمة اللغة العربية ، لأنه يفهم جيداً أن سيطرة الثقافة المصرية تقوم بفضل اللغة العربية ، وهو يرجو أن يخرس لسان العرب لتحتل مكانه ألسنة روما ولندن وباريس

الاستعمار يفهم أن القاهرة صارت محور الحركة العربية ، ففيها تُعقد المؤتمرات ، وفيها يلتقى العرب بعضهم مع بعض ، وفيها تحل المعضلات ، وإليها يرجع الأمر فى فض الخصومات العربية ، وهو من أجل ذلك يبذل جهده الأثيم فى تنفير العرب من الثقة بالأمة المصرية

فكيف يغفل بعض إخواننا فى لبنان عن هذه الحقائق ؟

كيف ينسى بعض إخواننا فى لبنان أن للمستعمرين مكراً يخفى على إبليس ؟

كيف يجهل بعض إخواننا فى لبنان أن تلك الحركة قد تسوق أهل مصر إلى نفض أيديهم من صداقة لبنان ؟

وهل يظنون أن أهل مصر من الملائكة وأنهم لا يعرفون فى جميع الأحوال غير الصفح الجميل ؟

أرجو أن يعرف بعض إخواننا فى لبنان أننا نلاقى كثيراً من العَنَت والمشقة فى تبديد ما يحيطون به أغراضهم من ظلمات وشبهات .

أرجو أن يعرفوا أن قالة السوء قد تطوّق أعناقهم إذا فكرت الصحافة المصرية فى دفع ما يوجهون إلى مصر من زور وبهتان

أرجو أن تعرفوا جميعاً أن يد الله مع الجماعة . أرجو أن تعرفوا أن العروبة تستطيع أن تنسى أن فى الدنيا بلداً اسمه لبنان يوم تثق بأنه يضع الأشواك فى طريق الوحدة العربية ، ولكن ذلك اليوم سيكون مشئوماً لأن العرب يؤذيهم أن يضيع لبنان

هل تصدقون أننى دافعت عنكم فى دمشق وبغداد ؟

هل تصدقون أن الحزن يفعم قلبى كلما تذكرت أن الدسائس الاستعمارية قد تبعدكم عنا إلى غير مَعاد ؟

هل تصدقون أنى طربت حين رأيتنى أُشتَم فى بعض مجلاتكم باللغة العربية لا باللغة الفرنسية ؟

وأؤكد لكم أيها الإخوان أنى لا أتصدق عليكم بهذا العطف الصادق ، فلو جُمع ما نُشر فى جرائدكم ومجلاتكم من الدعوة إلى الثقة بمصر لتكوّن منه محصول أدبىّ نفيس . ونحن نعرف منزلتنا فى قلوبكم ، ونحرص على أن تبقوا أصدقاء أوفياء ، ولكنكم تعرفون أن الطبيعة الإنسانية يغلب عليها الضعف، فهى قد تذكر السيئات وتنسى الحسنات . فأرجوكم بالله ألا تحبطوا أعمالكم بمظاهر الغدر والجحود ، فقد تلقون منا من يقابل العدوان بالعدوان

* * *

أما بعد فهذه كلمة صريحة أردت بها وجه الحق ، وما أنكر أن فيها بَدَوات لا تخلو من خشونة وعنف ، ولكن يعزينى أنى كنت فيها مخلصاً كل الإخلاص

ولكم أن تثقوا بأن مصر لن تقف إلا حيث تحبون ، ولن تروا منها غير الصدق والوفاء .

زكى مبارك

من برجنا العاجى

هل ينتظر اللغة العربية والأدب العربى الحديث فى مصر مستقبل سعيد ؟ لقد بدرت البوادر بشروع بعض الأجانب فى الإقبال على تعلم اللغة العربية والاهتمام بمعرفة كتاب مصر البارزين . من رأيى أن الحياة لن تدب فى هذه اللغة وهذا الأدب إلا إذا ظفر بقراء كثيرين من هذا العنصر النشط المثقف . وإنى لأتخيل اليوم الذى يتم فيه ضم أجانب مصر أو أغلبهم إلى حظيرة قرائنا فى لغتنا . هؤلاء الأجانب الذين يعدون القراءة غذاء ذهنياً له ضرورته فى حياتهم اليومية ، شأنه فى ذلك شأن الحاجات الأولية ؛ هؤلاء الآلاف القليلة من الأجانب الذين استطاعوا أن يكفلوا لرواج حوانيت الكتب الأجنبية التى لا يخلو منها شارع كبير فى أى مدينة كبيرة من مدن هذه الدولة العربية اللغة ؛ هؤلاء النفر الذين استطاعوا أن ينشئوا لأنفسهم صحفاً ومجلات بلغاتهم المختلفة وأن يضمنوا لها حياة وازدهاراً . ترى ما الذى يحدث لو أن هؤلاء فهموا أخيراً أن استقلال مصر وسيادتها معناه سيادة لغتها وآدابها وفنونها على الأقل فوق أرضها وفى حدود بلادها ، وأن الخير والكياسة والمصلحة تقضى عليهم أن يكفوا عن تجاهل لغة الدولة وأن يعيشوا بيننا كما يعيش كل أجنبى فى دولة محترمة ، يُعنى بتعلم لغتها والاطلاع على أدبها ومسايرة الحياة الذهنية والاجتماعية فيها ؟ لا ريب عندى ، لو وقع ذلك الحدث ، فى أن أدبنا سيتغير ويتطور فى مثل لمح البصر تطورات تثير الدهشة والعجب. ليس فقط لأن نتاج فكرنا سيرتفع شأنه فى السوق، بل لأنه سيرتفع فى ذاته من حيث الصنف والقيمة . فإن القارئ الجيد يخلق الكاتب الجيد، و «الزبون» المحترم يوجد الحانوت «المحترم» .

لكن . . . كيف نحمل الأجانب على ارتياد « حانوتنا » الفكرى وأكثرهم قد استقرت فى نفسه بغير علة فكرة الاستخفاف بلغتنا ؟ ما هى الوسائل التى ينبغى أن نتخذها لنزع هذه الفكرة عنهم وترغيبهم فى بضاعتنا ؟ هذا سؤال مطروح على القراء المثقفين .

توفيق الحكيم

بين القديم والجديد

لأحد أساطين الأدب الحديث

عاب الأستاذ الغمراوى على عميد كلية الآداب الدكتور طه أنه اختار فى كتاب (حديث الأربعاء) مجموعة من شعر المجون العباسى، ولا أريد أن أتعرض الآن لهذا الاختيار بنقد مطول وإن كنت أعتقد أنه جعل الكتاب غير لائق إلا لقراءة المؤرخ الباحث فى آداب الشعوب فى العصور المختلفة، وأنه ليس للقراء عموماً؛ وهذا لم يكن رأى مؤلفه عندما ألفه، فإنى أذكر أنه عاب على الشيخ الخضرى حذفه المجون من نسخة الأغانى التى هذبها وقال: إن دارس الأدب لا بد أن يقرأ هذا الشعر كيلا يخطىء فى الحكم على عصره. وكان الدكتور يجد له طلاوة خاصة يستحق من أجلها الصيانة. ولا أدرى هل الدكتور لا يزال على هذا الرأى أم أن جلال المنصب قد حوره؟ لكنى أريد أن أستخلص من ذكر الأستاذ الغمراوى كتاب (حديث الأربعاء) حجة على الأستاذ الغمراوى؛ فالشعر الذى اختاره المؤلف فيه شعر عربى، والأستاذ الغمراوى يقول إن الأدب الأوربى هو الذى أفسد المذهب الجديد فى الأدب بمجونه. فكأنما يريد الأستاذ الغمراوى أن يقول إن اطلاع الدكتور طه حسين بك على الأدب الأوربى هو الذى دعاه إلى اختيار شعر الحسين بن الضحاك وشعر أبى نواس وغيرهما. فإذا كان هذا قصده ومعناه فإن الأستاذ الغمراوى يكون على حد اصطلاح الأوربيين كمن يضع العربة أمام الفرس بدل أن يضع الفرس أمام العربة وهو الترتيب الطبيعى، لأن الدكتور طه قرأ الشعر العباسى قبل أن يقرأ الأدب الأوربى، وتأثر بالشعر العربى قبل أن يتأثر بالشعر الأوربى. وإنى واثق أنه قد اطلع فى الأدب الأوربى على الوقور وغير الوقور من الشعر. اطلع على شعر سوفوكليز ويوريبدس وإسكيليس. فهل يريد الأستاذ الغمراوى أن يقول إن اطلاع الدكتور طه حسين على شعر سوفوكليز مثلاً هو الذى أغراه باختيار شعر الحسين بن الضحاك؟ إنه إن قال هذا القول دل على أنه لم يطلع على شعر سوفوكليز. وقس على ذلك غيره من الشعراء ولا أدرى أى الشعراء الأوربيين هم الذين أوعزوا إلى الدكتور باختيار شعر مجان العرب. هل قراءته لشعر بودلير أم قراءته لشعر فرلين؟ إنى لم أقرأ فى شعر بودلير وفرلين (وقد قرأت بعضه) ما يماثل بعض شعر أبى نواس والحسن بن هانى فى صراحته. ولا أظن أن الجمهور الأوربى كان يطيق من بودلير أو فرلين صراحة كصراحة أبى نواس والحسين بن الضحاك. إذاً يستحيل أن يكون بودلير أو فرلين هو الذى أغرى الدكتور باختيار شعر الحسين بن الضحاك أو شعر أبى نواس، لأن الأشد صراحة فى المجون هو الذى يبيح ما هو أقل منه شدة. فأبو نواس هو الذى يبيح فرلين وبودلير، وليس بودلير هو الذى يبيح أبا نواس. وإذا عرفنا أن الدكتور تأثر بالشعر العربى الأشد صراحة فى صباه ولم يطلع على الشعر الأوربى الأقل صراحة إلا بعد أن رسخ أثر الأول فى نفسه علمنا أن ما زعمه الأستاذ من أثر الشعر الأوربى خاصة والأدب الأوربى عامة فى التأثير على المؤلف وفى تعيين اختياره لما اختار فى كتاب (حديث الأربعاء) زعم غير رجيح. وعلى هذا القياس يكون أيضاً زعمه غير رجيح فى تعليل اختيار الدكتور طه حسين بك للقصص الفرنسية التى كان ينقلها إلى العربية، وكان ينشرها هيكل فى السياسة الأسبوعية، وهى القصص التى يشكو منها الأستاذ الغمراوى (١) فإنها مهما بلغت فى صراحتها، أقل صراحة مما قرأه الدكتور طه فى صباه من القصص العربية فى كتاب (مصارع العشاق)، وغيره؛ وإذا يكون مثل الأستاذ الغمراوى فى تعليله كمثل من يحسب السبب نتيجة والنتيجة سبباً، أو كمن يقوم بتجربة كيميائية فى المعمل فيبدأ التجربة من آخر خطواتها سائراً إلى أولها. والحقيقة أن الأستاذ الغمراوى أحياناً فى مقالاته يتخلى عن التعليل الطبيعى ويفضل التعليل المصطنع، ويتخلى عن ترتيب المؤثرات الطبيعى ويفضل الترتيب المصطنع. فهو مثلاً يقول إن فى المذهب الجديد شططاً، وبدلاً من أن يعلل هذا الشطط التعليل الطبيعى القريب بما اكتسبته العقول والنفوس من شغف بتذوق التجارب النفسية والعقلية بسبب الحوافز الاجتماعية وغير الاجتماعية، وهذا الشغف قد يؤدى إلى الشطط؛ وبدلاً من أن يعلله بازدياد الحرية السياسية والقانونية وهى قد تؤدى إلى هذا الشطط؛ وبدلاً من أن يعلله بأنه من أثر نشر الطباعة العربية الحديثة للكتب العربية التى فيها أمثال ما يشكو منه كما علل المؤرخون

(١) يحسن بالأستاذ الغمراوى أن يضع موازنة بين قصص (الأغانى) و (فاكهة الخلفاء) و (مصارع العشاق) وبين القصص التى نشرها طه حسين وهيكل ليفسر سبب إغفاله أثر كتب العربية.

الأوربيون بعض الشهوات فى نزعة التجديد والإحياء فى القرن السادس عشر فى أوربا بطبع كتب الأدب الإغريقى القديمة — أقول بدل أن يأخذ بهذه الأسباب الطبيعية التى لها نظائر فى التاريخ — والتاريخ يفسر بعضه بعضاً — تراه يغفل كل هذه الأمور ويقول: إن أعداء الدين الإسلامى من الأوربيين رأوا أنهم لا يستطيعون النيل من الإسلام قدر ما ينالون منه بمؤلفات الدكتور طه حسين ومؤلفات هيكل باشا القديمة قبل كتاب «حياة محمد» و«منزل الوحى». وقد يسىء القارئ فهم تعليل الأستاذ الغمراوى ويتساءل: هل يعنى الأستاذ الغمراوى أن نزعة التجديد دسيسة مقصودة مدبرة؟ أرجو ألا يجسم الوهم المسألة للأستاذ إلى هذا الحد، فإنه عالم قد اختبر البحث العلمى، وهو كالعلماء لا بد أن يترك التعليل البعيد ما دام هناك تعليل طبيعى له شواهد ونظائر فى التاريخ كما أوضحنا بذكر ما كان من الشطط فى نهضة إحياء العلوم فى أوربا فى القرن السادس عشر. فلو أن مؤرخاً زعم أن الوثنيين خفية راموا القضاء على المسيحية ببثهم الشهوات والمفاسد فى الكتب الإغريقية ما كان تعليله بعيداً عن طريقة الأستاذ الغمراوى فى تعليل شطط النزعة الحديثة إلى التجديد. أو لو أن مؤرخاً زعم أن الفرس والروم فى صدر الإسلام أرادوا النيل من الإسلام ببثهم المفاسد والترف حسداً وحقداً ما كان تعليله بعيداً عن تعليل الأستاذ. أو لو أن مؤرخاً زعم أن مفكرى الإغريق حاولوا إفساد العقائد الإسلامية فى عصر الدولة العباسية ببثهم روح التفكير الحر المطلق من قيود الدين حنقاً وحقداً على الدين الإسلامى ما كان تعليله بعيداً عن تعليل الأستاذ. والحقيقة أننا ربما نكون قد فهمنا من كلامه عن أعداء الدين الإسلامى ومحاولاتهم القضاء على الدين الإسلامى بنزعة التجديد ومؤلفات المجددين المصريين أكثر مما يقصد الأستاذ، لأننا لا نستطيع أن نتصور أن عالماً جليلاً كالأستاذ الغمراوى يريد أن يقول: إن بين الدكتور طه مثلاً وبين أعداء الدين من الأوربيين تفاهما واتفاقاً على الدين الإسلامى. إنما ينبغى ألا يترك الأستاذ لجمهور القراء موضع لَبْس، لأن اللَّبْس فى هذه الأمور قد تكون له عواقب خطيرة. ولا أدرى لماذا اعترف الأستاذ الغمراوى بما فى الأدب القديم من مفاسد ولم يستطع أن يعترف بما لهذه المفاسد من أثر فى الأدب الجديد، وما هذه إلا خطوة بعد تلك الخطوة، وهى نتيجة لها؛ ولا يستطيع أن يخطو خطوة

إلا وهو ينظر إلى خطوته الثانية؛ وقد خطونا خطوتين فاعترفنا أن الأدب الجديد به عيوب وأن بعضها يرجع إلى بعض المؤلفات الأوربية؛ فالخليق بالأستاذ أن يعترف بأن بعضها أيضاً أو أكثرها يرجع إلى قدوة المؤلفات العربية؛ والخليق به أن يعترف أن ليس كل الأدب الأوربى من نوع القصص التى كان يشكو من نشر السياسة الأسبوعية لها، وأن يعترف أنه إذا كان بعضها صريحاً فى تصوير الشهوات فإن بعضها جليل؛ وأن الصريح منها أقل صراحة من بعض ما فى كتب القصص العربية؛ وأن يعترف أن شاعراً كشكسبير لا خطر منه على الإسلام، فلا هو مبشر بالمسيحية ولا هو ملحد وداعية للالحاد. وما يصدق فى الكلام عن شكسبير يصدق فى الكلام عن ألف شاعر وألف كاتب من شعراء الأوربيين وكتابهم. وخليق بالأستاذ أن يعترف أيضاً أن بين الكيميائيين وعلماء الطبيعة الأوربيين من هم أشد خطراً على الإسلام من كثير من أدبائهم، لا لأنهم يحقدون على الإسلام ويريدون الكيد له، بل لأن علمهم الطبيعى شط بهم عن الأديان. وأظن أن لنا بعض العذر إذا فهمنا بعض ما فهمنا من قول الأستاذ عن أعداء الدين الإسلامى من الأوربيين إذ قال إنهم أرادوا ألا يهاجموه مواجهة بل بحركة التفاف، وأن حركة الالتفاف هذه هى نزعة بعض الكتاب المصريين إلى التجديد، وذكر مؤلفات الدكتور طه حسين عميد كلية الآداب ومؤلفات هيكل القديمة، فبالله كيف لا يكون للجمهور العذر إذا فهم من قول الأستاذ الغمراوى أن الدكتور طه حسين وهيكل من دعاة أعداء الدين الإسلامى ومن عمالهم المسرين القائمين بحركة الالتفاف هذه بدل مهاجمة الدين الإسلامى مواجهة. وعلى فرض أن تأليف الدكتور طه كتاب (على هامش السيرة) وتأليف هيكل (حياة محمد) و(فى منزل الوحى) لم يقنع الأستاذ الغمراوى بخطأ رأيه فيهما ألا يقنعه تأليفهما هذه الكتب أنهما لا يريدان معاونة الحاقدين على الدين الإسلامى من الأوربيين للقيام بحركة التفاف كما يقول الأستاذ وأنه إن كان فى تأليفهما القديم أو الحديث شطط فأسبابه ما أوضحنا من الأسباب الاجتماعية، ومن شغف جديد بالبحث قد يخطئ وقد يصيب، لا لأنهما يريدان معاونة الحاقدين على الدين فى القيام بحركة التفاف. ولو أن كاتباً فى أوربا فى بدء نهضة الإحياء فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر اتهم رواد النهضة فى أوربا بأنهم يريدون القيام بحركة التفاف معاونة لمن يكره المسيحية من المسلمين لما تعدى قوله

على هامش الفلسفة

الحقائق الأخلاقية أيضاً

للأستاذ محمد يوسف موسى

قلنا إن من الخير والواجب عند بحث تاريخ التقاليد والحقائق الأخلاقية أن يلاحظ الباحث ما كان من اختلاف بل تناقض أحياناً بين كثير من التقاليد الضيقة ، وما كان من تشابه عجيب وانسجام نادر بين المثل الأخلاقية العليا التي عارض بها دعاة الإصلاح وفلاسفة الأخلاق ومعلمو الإنسانية تلك التقاليد . وذلك ما يدعو للقول بأن هؤلاء المصلحين كانوا يصدرون عن معين واحد فيما وقفوا أنفسهم على تحقيقه

من الممكن أن نذكر في معرض التمثيل لذلك في الأزمنة العريقة في القدم حكيمي الهند والصين « بوذا وكونفشيوس » وسقراط الإغريقي وأنبياء بني إسرائيل وفلاسفتهم وحكماءهم ، وأخيراً المسيح ومحمداً عليهم أفضل الصلاة والسلام

في تراث الهند الروحي وتعاليمها السامية يجد الباحث تعاليم أخلاقية صالحة حقاً ، أو يجب أن تكون كذلك لكل الناس . منها : لا تقتل ، لا تكذب ، لا تشترب المسكرات ، لا تأخذ مال غيرك ولا زوجته . هذا بعض التعاليم السلبية ؛ وفي التعاليم الإيجابية نجد الأمر بالصبر والرحمة والتسامح والإغضاء عن الأذى ونكران الذات والتضحية في سبيل الغير . يقول بوذا نفسه في بيان وجوب مقابلة السيئة بالحسنة : « إذا كان الحقد يرد على الحقد بالمثل كيف ينتهي إذن[1] » . وللبوذيين مثل بديع في وجوب الإحسان هو « أن أرنباً لا يملك قوته عزّ عليه أن يرد سائلاً طلب ما يمسك به رمقه ، فشوى نفسه له حتى لا يرجع خائباً [1] » هذا المثل يبين بإعجاب كيف يجب أن يساعد المرء غيره بما يملك من وقت ومال ، بل وبذات نفسه أيضاً . ويحضرني في هذه المناسبة قول الشاعر العربي :

ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله

وإذا تركنا الهند إلى الصين نجد كونفشيوس حكيمها الأكبر يبشر في القرن السادس قبل الميلاد كسابقه بأخلاق يحكم العقل السليم بصلاحيتها للجميع ، كأن يوصي بالاعتراف بالخير والجميل للأموات ، بالشفقة البنوية ، بالإخلاص الأخوي ، بالأدب الذي منبعه القلب ، بالمعاملة الحسنة لجميع الناس على السواء . بعض كلماته تمثل نمطاً عالياً من التفكير وأخلاقاً تفرض نفسها فرضاً . ها هو ذا يقول[2] : « من المعرفة الحقة أن يكون المرء عارفاً ويعلم أنه عارف ، أو جاهلاً ويعلم أنه جاهل . العاقل لا يرفض كلمة طيبة لأنها جاءت من شرير . يجب مقابلة الخير بالخير (لعل هذا خطأ مطبعي وأن الصواب مقابلة الشر بالخير) والظلم بالعدل . أحبوا الآخرين كأنفسكم » . ولما حانت ساعته رفض أن يصلي تلاميذه لأجله وقال في نبل وإيمان : حياتي كانت عبادتي وصلاتي »

وفي اليونان القديمة نرى سقراط مؤسس علم الأخلاق يأمر، ضمن

(١) شالي. الفلسفة العلمية والأخلاقية ص ٢٥١، ٢٥٢ Challaye : Phil. Dcien. et Phil. M.

(٢) المرجع نفسه ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ Challaye : Phil. Dcien. et Phil. M.

قول الأستاذ الغمراوي . ولا أظن أن الأدباء في أوربا يسعون سعياً حثيثاً لهاجمة الإسلام ؛ وإن كان بعض الكتاب الأوربيين يفعل ذلك فإنه لا يفعله كأديب ولا كمفكر عالم ولكن كمبشر بدين آخر . وإذا كان بين أدباء المسلمين ومفكريهم وبين الأدباء والمفكرين في أوربا صلة فهي ليست صلة عداء لدين بل صلة بحث وتفكير قد يخطئ وقد يصيب . وبالرغم من أن الأستاذ الغمراوي قد فسر قوله (إرادة تغليب دين على دين) تفسيراً جديداً فإنه يحوم ويحلق دائماً في جو المعنى الذي فهمناه من قوله .

إن المؤرخين المعاصرين في أوربا يميل الكثير منهم إلى الاعتقاد أن النزعة إلى التجديد في أوربا في القرن السادس عشر كانت لا بد واقعة بمحاسنها ومفاسدها لأسباب أصيلة في دول أوربا حتى ولو لم يكن للعرب أثر فيها . وربما يدعونا هذا الرأي إلى بحث رأي يقابله وإلى أن نتساءل إلى أي حد كان التغير الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الحديث في مصر مؤدياً حتماً إلى النزعة إلى التجديد بمحاسنها ومفاسدها حتى ولو لم يكن للأدب الأوربي أثر فيها قل أو كثر . وإني واثق أن الأستاذ لو بحث هذا الموضوع وجد في هذا الرأي من الحقائق ما يصح الاعتراف به حتى ولو لم يقره كله على علاته .

قارئ

ما يأمر به ، بأن يكون المرء سيد نفسه : بالشجاعة ، وبالعدالة . إلى غير ذلك من الصفات الأخلاقية العامة . وفى ساعة موته دفع بشجاعته إلى حد البطولة حين يقول لقضاته ، وقد قدم للمحاكمة متهماً ظلماً بالسفسطة والإلحاد وإفساد الشباب : « لشدّ ما أنتم فى الضلال إذا كنتم تعتقدون أن رجلاً يعرف لنفسه بعض القيمة يفاضل بين حظوظ الحياة والموت ، وبين البحث دائماً عما إذا كان ما يعمله عدلاً أو غير عدل » وحين يقول لتلميذه : « كريتون Criton » لا ينبغى أن نجترح أى ظلم حتى ولو كنا ضحايا لظلم الآخرين . عمل الشر للغير هو الظلم بعينه . لا يجب مقابلة السيئة بمثلها »[1] .

وإذا تركنا اليونان ، وعرجنا على بنى إسرائيل ، نجد أنهم كانوا فى فجر تاريخهم لا يعتقدون واجباً إلا لإلههم المحلى وأنفسهم حتى جاءهم أنبياؤهم وحكماؤهم بالمبادئ الأخلاقية الرحبة الواسعة[2] . وفى ذلك يقول أحدهم فى القرن السادس قبل الميلاد : « ليس لجميع الشعوب إلا إله واحد كل العالم معبده ، وتكريمه أن يكون الكل عادلاً[3] » . وفى التامود : « أحبب غيرك كنفسك . لا تعامل غيرك بما لا تحب أن يعاملك به[4] » . وهذه الحكمة أخذها أحد حكمائهم وهو : « هلّى Hille » الذى عاش فى القرن الأول قبل الميلاد مبدأ له . فهى عنده كلمة الشريعة وما عداها مجرد تفسير لها . وفيه أيضاً : « من يفعل الخير حباً فى الخير يكن من أصدقاء الله » . وجاء فى كلمة للكاتب الروسى الكبير « مكسيم غوركى » هذه الحكمة السامية لهلّيل الحكيم السابق ذكره : « إن لم تكن لنفسك فلمن تكون ؟ ولكن إن كنت لنفسك فقط فلم تكون ؟ » . وقد تأثر غوركى بما فى تلك الكلمة من معنى إنسانى نبيل ، وحكمة عميقة حتى ليقول : « إن حكمة هلّيل هى النبراس الذى هدانى السبيل وما كان سهلاً سوياً »

بعد هؤلاء جميعاً نذكر عيسى عليه السلام الذى جاء معارضاً لما وجده من تقاليد عتيقة ضيقة بمثل أخلاقى عال صالح للناس جميعاً . كان مما بشّر به : « حب المرء لله أن يحب قريبه كنفسه » وليس القريب هنا هو الإسرائيلى للاسرائيلى مثلاً ، بل الإنسان للانسان : « عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به . إن وصيتى لكم أن يحب بعضكم بعضا كما أحببتكم ، لا يوجد حب أعظم من أن يعطى المرء من حياته لأصدقائه » .

أما محمد : صفوة الخلق كافة ، خاتم الأنبياء والمرسلين فقد جاء فى الأخلاق بما يعتبر بحق المثل الأعلى الكامل : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ، وبالو الدين إحسانا » ... إلى آخر هذه الأوامر الحكيمة الذهبية العالية التى احتوتها تلك الآيات الكريمات : « وجزاء سيئة سيئة مثلها . فمن عفا وأصلح فأجره على الله . إن أكرمكم عند الله أتقاكم . يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود . إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون » . ويضاف لهذا ومثله قوله صلى الله عليه وسلم : (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) . (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه) (الدين المعاملة) .

وهكذا نرى أن كثيراً من ذوى الضمائر الإنسانية عارضوا التقاليد والأفهام الضيقة التى كانت مقبولة فى أزمانهم وبيئاتهم بمثل عليا ؛ وبعبارة أخرى بمثل أعلى أخلاقى حكموا حقاً بصلاحيته للجميع دائماً . وصلوا لذلك لأنه أتيح لهم أن يتخطوا الجماعات التى كانوا يعيشون بينها ، ونجحوا فى الدخول فى حظيرة الإنسانية الخالدة والحياة العامة التى لا يحدها مكان أو زمان

هذه الأفكار الأخلاقية العالية التى وصل إليها أصحاب الضمائر العالية النيرة بعد تفكير عميق تجاوزوا به أزمانهم وبيئاتهم وأممهم إلى الإنسانية العامة فى أوسع حدودها . هذه الأفكار السامية التى يجب أن تكون مقبولة منا جميعاً ، أليس لنا أن نقرر أنها حقائق أخلاقية عامة فتكون الأخلاق لذلك علماً من العلوم ؟ بلى وربى ، إنه مما لا مرية فيه أن هذه الآراء ليست شعاراً ومبادئ مقدسة للناس جميعاً يصدرون عنها فى أعمالهم دائماً . هذه حقيقة لا ريب فيها ، ولكن الحقائق العلمية لاتزيد عليها فى هذا المعنى

حينما يعرف العلماء الحقيقة العلمية بأنها الاتجاه العقلى العام نحو مركز واحد أو نتيجة واحدة ، أو بأنها الشيء الذى تتجه

---

(١) المرجع نفسه ص ٢٥٤

(٢) يرجع فى هذا الكتاب تاريخ شعب بنى إسرائيل للكاتب الفرنسى المعروف رينان — Renan

(٣) شالى Challaye الكتاب السابق ص ٢٥٥

(٤) التلمود هو الجامع للقانون المدنى والدينى لليهود . ومرجعنا فى هذا هو كتاب « فى الفكر اليهودى » وهو دائرة معارف موجزة تشمل العقائد اليهودية فى الدين والأخلاق والاجتماع . جمعه ونسقه الدكتور هرتس الحاخام الأكبر للامبراطورية البريطانية وعربه الدكتور الفريد يلوز السكرتير العام السابق لجمعية المباحث التاريخية الاسرائيلية المصرية .

إليه العقول كلها وتقبله — حينما يعرفونها بهذا أو ذاك لا يقصدون أن هذا الاتجاه العام محقق ، بل يقصدون أنه أمنية يرجون يوماً ما أن تكون . وفى الواقع لا يقبل كثير من الناس الذين لا يزالون على الفطرة والجهالة الأولى التفسيرات العلمية الصحيحة لكل الظاهرات الكونية كالرعد والبرق والمطر والكسوف والخسوف ، بل لا يزال منا معشر المصريين من يعلل هذه الظواهر ونحوها بما لا يتفق مع العقل فى شىء . مالهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون . فحين يعلن العلماء أن الحقائق العلمية محل اتفاق جميع العقول ، يكون الغرض العقول الموهوبة القادرة على الحكم الصحيح ، أو الأمل أنها تكون حقاً ذات يوم محل اتفاق جميع العقول بلا استثناء. إذن لنا أن نأمل هذا للحقائق الأخلاقية السابق ذكرها هى وأمثالها، فنقول: هناك حقائق أخلاقية تفرض نفسها على الضمائر السليمة ، وإنها من الآن مقبولة من كل من وهب القدرة على الحكم الصائب كما أنها ستكون يوماً ما، قريباً أو بعيداً، مقبولة من الجميع عندما ينظر المرء نظرة واسعة تنتظم العالم بأسره وتعتبر الناس إخوة متساوين فيما لهم من حقوق وعليهم من واجبات

هذا الرجاء الذى يجب أن نقنع به الآن ، نجد لحسن حظ الإنسانية أنها تقترب منه شيئاً فشيئاً لعوامل عديدة . هناك قوى هامة مختلفة تعمل للتقريب بين الضمائر وجمعها على مبادئ واحدة من الناحية الأخلاقية كما حصل ويحصل كذلك من الناحية العلمية. من ذلك انتشار العلم وسهولة اتصال الناس فى كافة أرجاء الأرض وسرعة ذلك الاتصال وحدته وتزايده يوماً فيوما لا فرق فى ذلك بين السود والبيض وغيرهم من الأجناس المختلفة . هذا الاتصال المستمر الذى طابعه الحدة والعنف بل الوحشية بعض الأحيان كما فى حالات الاستعمار ، أنتج كثيراً من المظالم والآلام، ولكنه عمل أيضاً على تعارف الأمم وتفاهم الشعوب والقضاء على كثير من التقاليد الأخلاقية الضيقة الخاصة ، كما عمل على تبادل المبادئ الأخلاقية واختيار أنفعها . وسيؤدى استمرار هذه العملية الواسعة إلى إتاحة الفرصة إلى أن يوسع الناس جميعاً مداركهم ويسموا بتربيتهم حتى يجاوزوا بذلك الحدود الطبيعية من محيطات وبحار وأنهار وجبال ويصلوا إلى أبعد الآفاق . حينئذ يجمعون فى عقولهم وقلوبهم كل ما أمكن لشعوب العالم قاطبة خلقه أو كشفه من حقيقة وجمال ، ويركزون فى ضمائرهم ما يوجد فى الحياة العامة من عقل وحكمة ومبادئ أخلاقية نبيلة

والآن وقد ثبت أن هناك حقائق أخلاقية عامة نرى الضمير المستقيم مجبراً على قبولها ، ونرى من الواجب أن يقبلها الجميع يوماً من الأيام . لنا الآن من غير إسراف أن نقرر أن الأخلاق علم من العلوم ، وأن نعتبره عملاً من أعمال العقل كسائر العلوم الأخرى لا وليد التقاليد أياً كان مصدرها . الأخلاق عمل من أعمال العقل الذى يبحث بكل ما يملك من قوى مختلفة من تفكير وذاكرة وتخيل وتعليل واستنتاج للوصول لحقائق أخلاقية صالحة للجميع

بعد هذا لنا أن نتساءل : ما هى الطريقة التى تتبع فى دراسة هذا العلم ، فى تحديد المثل الأعلى الأخلاق تحديداً صالحاً طيباً يقبله الناس بلا استثناء ؟ ذلك موضوع البحث التالى إن شاء الله .

محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

فى الحـــــرب
للأستاذ عبد المنعم خلاف

كل زعيم ينشد نشيد السلام ويقف فى محرابه على منبره يقدم له الترتيلات والقرابين والنذور ...

ويلكم ! إن السلام هو أن تسكتوا جميعاً عن النقيق والنعيق باسمه ...

أتذبحونه وتذكرون اسم الله عليه ؟!

إن السلام ألا تفكروا فى مستقبل الذريات لإسعادها بإشقاء آبائها وطحنهم برحى حروب زبون ... بل أن تفكروا فى حاضر الآباء الحاضرين الذين تأخذون لقمة بطونهم وتضعونها فى بطون المدافع آكلات الأجسام، وهاضمات المدن والخيام !

عدتم إلى فلسفة الردة تمجدون الحرب للحرب ، وتضعون لها مكاناً فى قلوب الرجال كمكان الأجنَّة فى بطون الأمهات .. والأمهات الوالدات تخرج لكم الكتل اللحمية البشرية كما تخرج معامل الأسلحة مصنوعاتها ... فتولد كل يد ومعها أظفورها وقنبلتها ومدفعها .. ويولد كل وجه ومعه قناعه ...

والشياطين والزبانية تجمع الأحطاب من نغل القلوب وإحن الأفئدة .. وتضع الألغام على منابر الساسة وألسنة الزعماء . . . والإنسانية — العروس الهندية ! — تسمع إلى صلوات كهنة النار قبل أن يقذفوها فيها بصبر وعجز، وربما بطرب وسرور؟

وصار كل كاهن يلقى خطبه وتصريحاته المشئومة بإلقاء جميل وإشارات تمثيلية باهرة ...

ووقفت « العروس الهندية » تنظر إلى ألسنة الخطباء نظر الأحطاب إلى أعواد الثقاب ...

واجتمعت فى قلوب الزعماء أحقاد أممهم تغلى على الألسنة ، فصار كل زعيم يصر على أضراســـه لأنه يحس سُعار السلاح فى يده ...

ونظر كل زعيم إلى قرينه قبـل أن ينظر إلى مصالح أمته ... والحرب تتجرد من ثيابها لتبرز إلى الميادين راقصة عارية ...

عليها تَنُوس ذؤابات سود وعقود من الجمرات الحمر ...

وقد خرست أصوات الكهان والمعلمين والدعاة . إن كل هذا يختفى عند لزوم ظهوره والإعداد أسلوباً من أساليب الخيانة والتثبيط والفت فى الأعضاد ...

لأن الحيوان المقدس المتمدن لا يزال يعيش بغرائزه على رغم معابده ومحافل السلام فيه ومعاهد العلم عنده ...

وتكتلت المحصولات والأثمار والذهب لتقذف فى النار مع الجماجم والأيدى التى صنعتها وتعهدتها ...

إذاً لماذا تبنون ناطحات السحاب وتجملون المدن وتقيمون التماثيل والأنصاب وتفرغون على ما تصنعون كل ما تملكون من فن وعلم ما دمتم تهدمون كل أولئك فى لحظة ؟

أين الحياة التى يحياها الإنسان فى الأرض ؟ ومتى ؟ إن كل ما فى العالم الآن من علم ودين وفن إنما هو إعداد للموت السريع . فأين العمل للحياة والاستقرار ؟

أما والله لو لم تكن «الآخرة» التى تصير فيها الإنسانية إلى مصير آخر، أمام عيون الحكماء فلقد يضل ضلالهم ويجن جنونهم !

لقد أسبغت الإنسانية على مظاهر الحرب خلاصة من فنها المغرى بها ؛ إذ زينت الجنود بزينة فاتنة ، وجعلت ثيابهم أنخر الثياب وأدعاها إلى العشق والإعجاب ، وعشق النساء رجال الحرب أكثر مما عشقن رجال السلم والعلم والفن .

أية خدعة محبوكة الأطراف هذه الحياة يا رب الحياة ! إنك تدفعنا فيها إلى غايات مستورة ببعض الحلوى والزينة ...

تدفعنا بمظاهر الضعف: بالحب، إلى النسل والولادة والعمران وتدفعنا بمظاهر القوة : بالحرب ، إلى الموت والعقم والخراب ...

الحب والحرب هما المظهران الأكبران للحياة ، وعلى هامشهما يحيا الفن والشعر والعلم والعمل ...

حياة محوطة بنواميس فى داخل النفس وفى خارجها هى بهما فى جذب ودفع ...

أنحن آلات لا سعادة لها فى دنياها إلا العمل ، وليس وراء العمل سعادة ؟

أظن هذا هو الأصح والأدعى إلى راحة العقيدة فى الحياة وإلى الآن لم يظفر الإنسان — ذلك المخلوق التائه — بنعمة الاستقرار حتى يتيح الفرصة لعلمائه أن يجاهدوا فى الكشف عن عرائس أحلامه ... لأن زعماء القطيع لا يزالون يتغنون بمجد الأنياب والأظفار ... ولا تزال خيلاء المجد : بمجد الديكة المتنفشة تسوق الناس فى ضباب من الشعر والألفاظ المعسولة .

« بغداد — الرستمية » عبد المنعم خلاف

أعلام الأدب

إسخيلوس والدرامة اليونانية

للأستاذ دريني خشبة

مقدمة

نشأ شعر الملاحم وترعرع فى ظلال الأرستقراطية التى سادت الحياة اليونانية طوال عصر البطولة فى القرنين التاسع والثامن ، أو الثامن والسابع قبل الميلاد

ونشأ الشعر الغنائى وترعرع فى ظلال الأرستقراطية كذلك وامتد إلى منتصف القرن الخامس

وبرع فى شعر الملاحم هوميروس صاحب الإلياذة والأوديسة، وهسيود صاحب الأرجا (الأعمال والأيام) والثيوجونية (نشوء الآلهة) ودرع هرقل

وبرع فى الشعر الغنائى كل من سافو — شاعرة الخلود — والسيوس وأناكريون وأرخيلوكوس .. وقد كان هؤلاء يقرضون الشعر ويتغنون به تسلية لأنفسهم فحسب ، أى أنهم لم يكونوا (محترفين)

أما الشعراء المغنون (المحترفون) فقد ألفوا الفرق الغنائية (للغناء والإنشاد والرقص) ، فهم بذلك مبتدعو (الخورس) اليونانى . وقد كان أرسطو يطلق على الأغنية من أغانيهم لفظة (دِثْرامب) Dithgramb (كتاب الشعر لأرسطو)

ومن زعماء الشعراء المغنين ألكمان الشاعر الغَزِل الرقيق الذى يعده المؤرخون مبتدع أشعار الحب ، وإن تكن سافو قيثارى زعيمة هذه المدرسة . وقد اكتشف ماريت باشا[١] سنة ١٨٥٥ بردية مصرية بها قصيدة من روائع هذا الشاعر الفحل مما نظم لفتيات الكورس . وفى القصيدة نفحات من الدرام تدل على بداءة الأدب المسرحى

(١) جلبرت موراى (أبلتون) ص ١٠٠

ومنهم الشاعر آريون الذى يُعزى إليه ابتكار الدثرامب (أغانى باخوس)

ومن أعظمهم الشاعر تيزياس[١] الذى يعدونه فى الشعر الغنائى ندّاً لهوميروس فى شعر الملاحم ؛ وقد اكتسب الشعر على يديه مزايا عظيمة من حيث التنوع والقصص والمزج بين الملحمة والغناء وابتكار القصة الشخصية التى تفيض بالاعترافات

ومنهم الشاعر إيبكوس الذى اهتم كثيراً بقرض أناشيد (الصبيان) ومازج بين الشعر والموسيقى ووشى قصائده بورد الربيع وعصافيره وحبر العذارى

ومنهم سيمونيدز (٥٥٦ — ٤٦٨) وهو أوسعهم ثقافة ، وهو فى شعر الحكمة يشبه شاعرنا أبا الطيب من حيث الفكرة العميقة وقوة السبك وعلو المنزلة ؛ وكانوا يتدارسون شعره فى مجالس يعقدها جلة العظماء لهذا الغرض . وكان سفير قومه فى بلاط الملوك والأمراء الأجانب . وقد ذهب برغم كبره ليعقد الصلح بين أميرى صقلية المختصمين فأدى مهمته على خير وجه . ويعزون إليه أنه كان بخيلاً شديد الحرص؛ وذلك أنه كان يطلب لقصائده (ثمناً محدداً !) لا ينقص منه مهما ألحف عليه فى ذلك .. وأحسن قصائده ما كان له علاقة بالحرب . وقد كتب عن ترموبيلى أروع غُرَرِه ونظم فى قتلاها أجل فرائده .. ولذا أحبه اليونانيون وآثروه بلقب شاعرهم الوطنى دون بندار

أما بندار[٢] ، فهو بلا ريب أعظم الشعراء الغنائيين الذين أنجبتهم اليونان على الإطلاق ... ولقد ولد فى إحدى قرى بووطيه حيث نشأ نشأة موسيقية ، فتعلم العزف على القيثار ثم مهر فى النفخ بالناى ، وكان أستاذه فى ذلك عمه الشاعر الذى كان يلازمه ويعلمه الغناء والإنشاد فضلاً عن الموسيقى والشعر ... ثم ذهب إلى أثينا ليتخصص فيما شداه من هذه الفنون ، فأتيح له الاتصال برجالاتها وذوى الرأى فيها. ومما يذكر له فى هذه الفترة من فترات التحصيل أنه دخل فى مباراة إنشادية غنائية مع زعيمة من زعيمات الغناء فى أثينا تدعى كورينّا . فغلبته وتفوقت عليه ... وتقلب بندار

(١) وقد سمى فيما بعد (ستاسى خورس)

(٢) ٥٢٢ — ٤٤٨ ق . م

فى الإمارات اليونانية جميعاً ، وحل ضيفاً كريماً على أكثر ملوك الولايات حيث كان يقابل بالبشر ويُتلقى بالترحاب ... وكان بندار يكره سيمونيدز ، وينقم من الناس تهافتهم على شعره الذى كان يدعوه حكمة ولم يكن يدعوه شعراً . وبندار وسيمونيدز فى ذلك مثل البحترى والمتنبى. فقد كان البحترى شاعراً لأنه كان يُعنى، أما أبو الطيب فقد كان حكيماً . وحسبه أن ثلاثة أرباع ما يحفظ الناس من أبيات الحكمة هو من شعره . وقد كان بندار ينزع فى شعره وفى حياته نزعة لاهوتية ، فقد أخذ على عاتقه إحياء سنة السلف الصالح بالغناء للآلهة ، وقرض الشعر ، ونظم الأناشيد الدينية تسبيحاً بأسمائهم ، وله فى رها Rhea[1] وبان[2] . وأبولو[3] منظومات خالدة ... ومن هنا منزلته الرفيعة فى دلفى ، فقد كان كهنة المعبد يحبونه ويعتبرونه قديساً ، لأنه ألّف حولهم قلوب العامة ، وأعاد للدين بهجته ، ولذا خصوه بأرفع منزلة فى هيكلهم وأفردوه بغرفة خاصة يحل بها كلما زار دلفى . ونحسب نحن أن هذا هو الذى نفر منه خاصة الأدباء الذين هم قادة الرأى العام ... والشعب الوثنى هو أعرف الناس بآلهته ، فلما أغرق بندار فى هذه النزعة الدينية انصرف الجمهور عنه إلى سيمونيدز شاعر الحق والحكمة وتمجيد البطولة والأبطال .

وقد انتشرت أشعار بندار انتشاراً واسعاً بلغ مصر ، وتغلغل فى صحرائها إلى معبد آمون — زوس فى سيوه حيث نقشت أوراده الدينية على جدران المعبد وأعمدته بالذهب الخالص مما أدهش الاسكندر الأكبر وملك عليه لبه ... لكنه كان إعجاباً طارئاً سرعان ما طغت عليه الذكريات القديمة المؤلمة ... الذكريات التى لم ينسها اليونانيون لهذا الشاعر الكبير الذى خان وطنه الأكبر « هيلاس » بموقفه المزرى فى غزوة الفرس الكبرى ... لقد انضمت بلاده للفرس ضد أثينا ، فلم يحتج ولم تثر فيه النخوة الوطنية ، بل راح ينظم القصائد فى وجوب عقد الصلح . . . هذه صفحة بندار السوداء ، الصفحة التى لم تنسخ ظلماتها شموسُ القصائد الغُر التى نظمها بعد ذلك فى تمجيد أثينا وتخليد بطولة أبنائها . وهى قصائد أجود بكثير من كل ما نظم سيمونيدز فى هذا المضمار . لكنها قصائد تشبه هدايا عضد الدولة للمتنبى . أغزر من هدايا سيف الدولة وأكثر ، لكنها كانت ينقصها الروح ! !

ولا نستطيع نحن أن ننقص من قدر أشعار بندار إذا قرأناها ولم نكن ملمين بتاريخه ، بل ربما رفعناها إلى أعلى أوج يرتفع إليه شعر قديم أو جديد ... فأشعاره إلهام رفيع ووحى علوى مما يعز على فحول الشعراء ... وقد نظم كثيراً غير أوراده الدينية فى الرياضة والرياضيين ، وقد كانت أولمبيا تستهويه بأبطالها كما كانت دلفى تجذبه بآلهتها ... وكان بندار يعيش عيشة فنية ، فمسكنه كان متحفاً للصور والتماثيل والموسيقى والشعر ، وكان مشغوفاً بالجمال ينشده فى كل ما تقع عليه عيناه ... فى الطريق ... فى الحديقة .. فى الملهى ... فى الماء ... فى السماء ... فى كل شىء

* * *

هذه هى الأطوار التى ترقى فى مدارجها الشعر اليونانى قبل أن ينهض الدرام بنهضته العجيبة الخارقة فى القرن الخامس قبل الميلاد ، وهؤلاء هم الشعراء المخلدون الذين مهدوا الذهن اليونانى لعصر النور والعرفان ... عصر بركليس العجيب

أما كيف بدأ شعر الدرام ، وأما كيف وجد المسرح اليونانى فهذا ما لم يعرفه أحد حتى ولا أرسطو نفسه[1] الذى يعتبر معاصراً لنهضة الأدب المسرحى فى أوجه، والذى شهد روائع هذا الأدب تؤديها أقوى الفرق اليونانية فى أعظم المسارح التى عرفها التاريخ، والذى أخذ نفسه بالدفاع عن الشعر عامة ونقض نظرية أستاذه أفلاطون فى ذم الشعر وامتهان الشعراء

والنظرية الشائعة فى ذلك ، والتى اتفق على صحتها المؤرخون[2] هى أن الشاعر آريون هو أول من حوّر الإنشاد الفردى إلى إنشاد يقوم به خورس (فرقة) ويتولى توجيهه رئيس ، وأنه هو أول من ابتكر أغانى الدِّرامب Dithyramb (أغانى باخوس أو ديونيزوس إله الخمر والمرح والعربدة !) وهى أغان كان يمارسها

(١) إحدى أنثيات التيتان وهي ابنة أورانوس (السماء) وجيا (الأرض)
(٢) إله الطبيعة والمراعى
(٣) إله الموسيقى والشعر

(١) برتن راسكو — فصل سوفوكلس ص ٤٣ — طبعة بلوريون
(٢) الأدب اليوناني القديم لبورا ص ٧٦ وجلبرت مورای ص ٢٠٤ وتاريخ المسرح اليونانى ودرامته للدكتور روى فلكنجر فصل نشأة المأساة

الشعب على النمط الذى وصفه آريون إبان قطاف العنب

ثم جاء الشاعر تسبيس[1] (من قرية إيكاريا) فكان برأس خورسا كبيراً وزع على أفراده أدوار غنائه مستغلا الدثرامب التى وضعها آريون ثم وسع دائرتها بحيث جعلها تشمل أغانى بان إله المراعى، فكان أفراد خورسه يلبسون رؤوساً تنكرية تمثل رؤوس الماعز ، ولذلك كان يطلق عليهم لقب (المنشدين العنزيين) Tragôdoi ، ولم يكونوا يمثلون درامات بالمعنى الذى نعرفه اليوم . بل كانوا ينشدون مقامات Cantatas أشبه بمقامات الحريرى والبديع تشمل كل منها حادثة واحدة معينة

ومن لفظة Traqödoi اشتقت لفظة تراجيدى للمأساة

ومن لفظة Drömena أى الأشياء التى تؤدى اشتقت لفظة درامه Drama أى الأداء ، وهى ألفاظ كانت شائعة فى المحيط الدينى فى اليونان القديمة ثم أطلقت الدرامة على الرواية المسرحية فيما بعد[2]

هذا وثمة آراء أخرى فى أصل نشوء الدرامة ، منها أنها نشأت فى جزيرة كريت (إقريطش) حيث كان الأهالى يحتفلون كل سنة بإحياء ذكرى مولد سيد الأولمب (زيوس !) فكانوا يمثلون ميلاده ثم زواجه من حيرا كما كانوا يصنعون ذلك فى آرجوس وفى ساموس

ثم نهضت أتيكا — المقاطعة التى كانت حاضرتها أثينا — وعز عليها ألا يكون لها أدبها القومى الخاص فأقلمت الملاحم — كما صنع بيزاستراتوس — وأشعار الغناء ، ثم نهضت بأدب الدرام على يدى تسبيس الأيكارى الذى مثل بنجاح عظيم فى سوقها سنة ٥٣٤ ، وخوثريلوس وبراتيناس

ولقد كان الشاعر — وهو رئيس المنشدين — يقوم بأدوار عدة ؛ من دور الملك إلى دور القائد إلى دور الجندى إلى دور الرسول ... فكان لا بد له من تغيير ملابسه فى كل حالة من هذه الأحوال . لذلك أعد له فى جانب من جوانب ساحة الرقص Orchêstra (خص) أو خيمة SKênê ليبدل فيها ملابسه

وإذا كان الشاعر يقوم بكل هذه الأدوار فى المقامة الواحدة فماذا كان يصنع فى الأحاديث ؟ قالوا إنه كان يستعين بممثل آخر ليكون الطرف الثانى فى الحديث ، وكانوا يسمون هـذا الطرف الثانى Hypocités ومعناها المجيب، ثم استعملت هذه اللفظة نفسها فيما بعد للممثلين ... فكانت الفرقة القديمة تتكون عادة من شاعر ومجيبيْن (اثنين) وثمانية وأربعين راقصاً

وكانت الحكومة هى التى تؤتى الممثلين والراقصين أجورهم كما كانت تنفح الشعراء بجوائزها الثمينة السنية . أما الإخراج فقد كان الأغنياء يتحملون كل نفقاته ، وذلك بأن يلجأ الشاعر إلى أحدهم فيعرض عليه أن ينفق على درامته من خالص ماله إلى أن تؤدى فى المسرح ، فكان المثرى يستأجر للشاعر خورساً بأكمله ثم ينفق على الملابس والمناظر حتى يتم الإخراج كله . وكان الأغنياء يتباهون بهذا العمل ويتبارون فى مضماره ، ولا يبخلون بعزيز أموالهم عليه ولو ذهب بأكثرها ، وكل ما كانوا ينشدون من جزاء هو شعور الفخر والزهو الوطنى حين تنجح الدرامة التى أنفقوا عليها بعد العرض الأول . ويجب أن نذكر هنا أن جمهور النظارة بل الجمهور الأثينى كله فى القرن الخامس قبل الميلاد كان قد أوتى حظاً عظيماً من الثقافة العامة ، وكان قد تربى فيه ذوق فنى رفيع نمته فيه ديموقراطية هذا العصر التى أكبرت من قيمة الفرد وأشاعت فيه كبرياء الحرية والشعور بالسيادة

فى ظل هذه الديموقراطية تربى ذوق الأثينيين الفنى حتى غدا ذوقاً أرستقراطيّاً مرهفاً يقدر الفن حق قدره ويزن آياته بالقسطاس المستقيم ، فحينما كانت تعرض الدرامات فى مسرح أثينا كان الجمهور نفسه هو الذى يصدر حكمه عقب الانتهاء من التمثيل ... وكان الشعراء يرهبون هذا القاضى الجبار لأنهم كانوا يقدرونه . وكم كان جيلاً من أرسطو فان فى بعض مهازله أن يتملق النظارة ويبالغ فى تمليقهم ويطلب إليهم صراحة أن يحكموا له ... ولنتصور إذن قضاة يبلغ عددهم ثلاثين ألفاً أو يزيدون يصوتون للشاعر أو عليه ، وما يكون لحكمهم من أثر عظيم فى نفسه فى حالتى السخط أو الرضى ... لقد يكون فى هـذه الألوف المؤلفة قضاة غير عدول ... فقد ذكر الأستاذ ج . ك .

(١) لم يذكره أرسطو فى كتابه (الشعر) وقد ذكره صولون

(٢) آثرنا أن نرجئ الكلام عن الكوميدية إلى فصلنا عن أرسطوفان

ستوبارت(١) أن كثيرين من أهل أثينا كانوا ينظرون إلى التحكيم فى المباريات الأدبية بحسبان أنها مصدر عظيم من مصادر رزقهم... بل كان بعضهم يعدها المصدر الوحيد لهذا الرزق ... يقصد بذلك أنهم كانوا يبيعون أصواتهم لمن يدفع ثمناً أكثر ... وهذا عيب تافه من عيوب الديمقراطية شهدنا مثله فى معاركنا الانتخابية ، لكنه لا ينهض دليلاً على فساد الذوق الفنى عند اليونانيين .

لقد كان غشيان المسارح فرضاً قومياً على الأثينيين فى أعيادهم . وقد أثر عنهم أنهم كانوا يقولون إن من لم يذهب إلى المسرح فى العيد لم يكن له عيد ... وقد كانت الحكومة تنظر إلى المسرح نظرة كريمة عالية . لقد كانت تعده الجامعة العليا التى لا تعلم حروف الهجاء بل التى تطبع الشعب على أسمى صور الفضيلة والإيثار والتضحية فتخلق منه شعباً راقياً طيب الأعراق يتذوق أمور الحياة العليا بإحساس حى ناضج بصير لا بإحساس بهيمى بليد

وكانت كل طبقات الشعب تغشى المسرح الكبير فى أثينا ، وكان يظن أن النساء كن محجوبات عن شهوده ، لكن الأستاذ روى فلكنجر دحض هذا الظن الذى لم يكن إلا حدساً وترجماً بل زاد فأثبت بأدلة قاطعة أن الأرقاء أنفسهم كانوا يذهبون إلى المسرح للتمتع بالتمثيل ، وكانت الحكومة تدفع لهم ثمن تذاكرهم ، وكان ثمن التذكرة أوبولين ، والأوبول Obol هو قطعة من العملة اليونانية القديمة يساوى من عملتنا المصرية اثنى عشر مليا (ثلاثة بنسات انجليزية أو خمسة سنتات أمريكية) فيكون ثمن التذكرة قرشين ونصف قرش تقريباً أو ما يعادل ثمن تذكرة بالدرجة الثالثة فى أى دار من دور السينما عندنا .

وبعد فهذه لمحة خاطفة عن نشوء الدرامة اليونانية تليها لمحات عن المسرح اليونى فى عصر بركليس ، العصر الزاهر العجيب الذى حفل بأكبر عدد من شعراء الدرام على رأسهم أسخيلوس وسوفوكليس ويوريبيدز .

دريني خشبة

(١) فى كتابه الفخم عن اليونان The Glory that was Greece الفصل الرابع (القرن العظيم) ص ٤٢

من برج بابل

ليعذرنى الأستاذ الحكيم صاحب البرج العاجى ؛ فما اتخذت عنوان خواطرى « برج بابل » تقليدا ومحاكاة . . . وإنما اتخذته تحديا ومباراة !

وأخشى أن ينقلب البرجان أحياناً حصنين . . .

ولكنهما سوف لا يتقاذفان بالرصاص والقنابل . . .

وقى الله الإنسانية شرها ، فتلك أبعد عن طبيعتنا السمحة الوديعة المسالمة .. بل سيتراشقان إن تراشقا بسهام من أغصان الزيتون ...

وأخشى أن تزعجه ثرثرة برجنا ، فتقطع عليه هدوءه وعزلته وتفكيره وأبحاثه الفلكية أيضاً ! ناهيك بثرثرتنا نحن النساء .

ومن يدرى ؟ فلعله يهجره فراراً من جيرتنا المزعجة !

وحسناً يفعل ! فلسوف تحتله المرأة ... فهو من العاج . . .

والعاج حلية لطيفة ثمينة محببة إلى قلب المرأة ، والتحلى حاسة سادسة لها . . . كأنك تتحدى المرأة وتمعن فى عداتك المفروف بالتزامك حصنك العاجى ، معذرة ، بل برجك !

وكأنك أردت أن تخدع بنت حواء بأنه برج حقاً ، حسبك منه استشراف نجوم الأرض ونجوم السماء ونجوم السينما ! .

ولكن عاجك يارسول البرج غنيمة تغرى ولا تخدع فهو قلعة فى زى برج !

لم تحدثنا أيها الفلكى الراهب من برجك العاجى منذ أقمت بنيانه حتى الآن عن نجوم الليل السابحة فى تيه قصى بعيد ، ولا عن عين السماء الفضية ، ولا عن الزهرة فى موكبها الفخم الجليل ... وكأنك عدوها أيضاً !

وإنما بلغ أسماعنا من شاهق برجك كلام لا يتصل بالفلك ولا بالنجوم ولا بالأبراج ! . . .

ولو كان برج حمام لأقنعت نفسى بأنه حمى أمان وسلام !

ولكنه برج من عاج . وهو كأشجار زرقاء اليمامة !.

« الاسكندرية » مارى نسيم

التاريخ في سير أبطاله

محمد شريف باشا

كان شريف في عصره رجلاً اجتمعت فيه الرجال
وكانت مواقفه توحي البطولة وتخلق الأبطال

للأستاذ محمود الخفيف



كاد الخديو للأجانب كيداً شديداً ؛ وظهر كمن يريد أن يثأر لنفسه فلم يكتف بإجابة الوطنيين إلى ما طلبوا ، بل لقد ذهب إلى مشاركتهم مظاهر ابتهاجهم بالعهد الجديد حتى لقد حضر بنفسه حفلاً أقامه في داره السيد على البكرى ودعا إليه كبار رجال الحركة الوطنية فكان موقف الخديو في ذلك موقف الزعيم !

وتلقى الأجانب الضربة ولكنهم لم يطيشوا أو يذهلوا عما يجب عليهم أن يعملوا إزاء موقف الخديو ، ومن أجل ذلك لقيت وزارة شريف منهم عنتاً بالغاً ، فتلاشت في ضوضائهم كل دعوة إلى الحكمة، وضرب الحقد على آذانهم وجعل الغضب على أبصارهم غشاوة

ولكن شريفاً ظهر يومئذ بمظهر جدير بالإعجاب حقاً ، فلا هو خشي جانب الأجانب فتخاذل عما هو بسبيله ، ولا هو مال كل الميل فانقلبت سياسته شططاً ، وبذلك جمع شريف على خير ما يرجى بين حمية الوطني الثائر وكياسة السياسي الماهر وروية المجرب البصير

احتج الأجانب على إبعاد الوزيرين الأوربيين واستقال كثير منهم من مناصبهم ، وراحت انجلترة وفرنسا تهددان الخديو وحكومته وتنددان بهما ؛ وتوجه الدائنون إلى المحاكم المختلطة فرفعوا أمامها القضايا ؛ وأعلنت لجنة التحقيق أن الحكومة في حالة إفلاس منذ أكثر من عامين ؛ ولما عرض شريف على هؤلاء الأجانب الصاخبين استعداده إلى إعادة المراقبة الثنائية كما كانت تقضي به تعهدات الخديو في حالة ما إذا أخرج الوزيران الأجنبيان أو أحدهما رفضوا ذلك الحل مبالغة منهم في الكيد ورغبة في زيادة الأمور حرجاً وتعقداً ...

ولكن شريفاً لم يلوه حرج الموقف عن وجهته ؛ وما كانت وجهته إلا أن يجعل مرد الأمور إلى الأمة، فلئن كان يمقت تدخل الأجانب، لقد كان كذلك يكره استبداد الخديو أشد الكراهية . لذلك جعل محور سياسته أن يكون مجلس الوزراء مسؤولاً أمام مجلس شورى النواب ، ولقد تم له ما أراد فجاء في خطاب الخديو إليه بتأليف الوزارة عبارات لا تقبل تأويلاً فيها يذكر الخديو أنه يرجع بالأمور إلى الأمة ويوافق على مسؤولية الوزارة أمام مجلسها

بهذا كان شريف أبا الدستور في مصر ، فإن ذلك المجلس الذي تعهده برعايته منذ نشأته عام ١٨٦٦ م قد تمت له السلطة على يديه عام ١٨٧٩ م فصار الحكم في مصر حكماً دستورياً لا تشوبه شائبة مهما يقول القائلون في طريقة الانتخاب يومئذ وجهل سواد الناس بأصول الحكم ...

أجل، إن العهد الدستوري في مصر إنما يرجع إلى عام ١٨٧٩م وهذا العهد إنما نالته مصر بجهاد بنيها وعلى رأسهم شريف وما كان دستور عام ١٩٢٣ م إلا الدستور الثاني للبلاد ، أو بعبارة أخرى ما كان إلا توقداً لتلك الجمرة التي ظلت مطمورة تحت رماد الاحتلال حتى حل سعد محل شريف في الحركة القومية فأزاح ذلك الرماد ونفخ في تلك الجمرة فأوقد نارها !

لم تكد البلاد وا أسفاه تفرغ من مظاهر فرحها حتى جاءت الأنباء بعزل عاهلها ، فإن الدولتين ما فتئتا تسعيان لدى الباب العالى حتى تم لهما عزله وإسناد الحكم إلى ابنه توفيق باشا ؛ وبخروج إسماعيل من مصر فقد شريف وفقدت البلاد الرجل الذى كان يمكن الاعتماد عليه فى مناهضة نفوذ الأجانب ...

رفع شريف استقالته إلى الخديو الجديد كما تقضى التقاليد الدستورية ، فطلب إليه الخديو إعادة تأليفها ، وأشار توفيق صراحة فى أمره وفى خطابه أمام مجلس الشورى ميله إلى العطف على الأمانى القومية كما تظهر فى الحركة الدستورية الوطنية . وسار شريف على نهجه الدستورى يدعم ما بنت يداه ويجهد فى توطيد أسسه ...

ولكن توفيقاً ما لبث حين جاءه فرمان التولية أن تنكر للحركة الوطنية فما كان فى موقفه الأول إلا مخادعاً يكتسب الوقت فلما اطمأن إلى مركزه من جهة الباب العالى بدأ سياسته الجديدة بأن رفض أن يجيب رئيس وزرائه إلى ما طلب بشأن توسيع سلطة مجلس الشورى ووضع نظام الحكم على أساس دستورى ثابت ؛ وفى هذا رأى شريف نية إقصائه عن الحكم فاستقال ، وجاءت استقالته هذه المرة أيضاً عاملاً قوياً من عوامل إذكاء الروح الوطنية وإشعال جذوتها

وما كان أحوج توفيق يومئذ إلى شريف وإليه دون غيره من الرجال . أجل ما كان أحوج الخديو إلى ذلك الرجل الذى كانت تجتمع فيه الرجال وتلتقى فى سياسته الآمال ، وإنى لأزعم هنا فى غير تحرج أنه لو بقى شريف فى وزارته يؤيده الخديو لكان من الممكن أن تتفادى البلاد تلك الثورة التى جرت عليها نكبة الاحتلال فلقد كانت دسائس انجلترة فى تلك الآونة تنفذ إلى كل ركن وكانت انجلترة تتحين الفرص وتعمل على تهيئتها ، ولو أن شريفاً قد بقى فى مركزه لما اتجهت الحركة الوطنية إلى الحزب العسكرى ولسارت سيرها ولو فى بطء إلى غايتها

حل رياض محل شريف فأخذت السياسة الرجعية موضع الحركة الدستورية ، وتلفت الوطنيون ، فإذا الأجانب يعودون إلى نفوذهم الأول بل إلى أكثر منه وبخاصة انجلترة التى أوحت بسياستها إلى توفيق أن يتخذ منها سنداً ضد الباب العالى وضد فرنسا وضد الوطنيين ! فلقد كان توفيق يوجس فى نفسه خيفة من تركيا ويعتقد أنها تتآمر عليه ، كما كان يفهم أن فرنسا تعطف على العرابيين منذ ظهرت حركتهم . هذا إلى أنه رأى مبلغ نفوذ الأجانب فى خلع أبيه وأحس ما تركه هذا الخلع من أثر فى قلب مثل قلبه ...

واقتضت الظروف أن يظل شريف بعيداً عن الحكم سنتين عانت فيهما البلاد رزايا الحكم المطلق وبلايا تدخل الأجانب ، حتى هبت العاصفة من ناحية أخرى هى ناحية الجيش

وكانت حركة الجيش أول الأمر قاصرة على مطالب تتعلق برجاله ، ولكن ما لبث أن التقى التياران واتحدت الغاية ، فإن رجال الحركة الوطنية حينما ضاقوا بما فعلت وزارة رياض ، وحينما سدت فى وجوههم السبل لم يبق أمامهم إلا الاستعانة بالعسكريين ورأى العسكريون من جانبهم أن فى اضطلاعهم بمطالب الأمة ما يرفع من قدر حركتهم فرحبوا بالفكرة وساروا بها لا يلوون على شىء ...

وهكذا تتقاذف السفينة الأنواء وتلق بها فى غيبة ربانها فى بحر لجى متتابع الإزباد كأنما جن فيه جنون الريح فلن تهدأ إلا على مناظر الغرق والدمار .

سار عرابى العسكرى بخيله ورجله ومدافعه إلى الخديو يملى إليه مطالب الأمة وينذره أن لا مرجع للجيش حتى تجاب تلك المطالب ؛ ولم يكن للخديو أمام هذا التحدى إلا أن يجيب عرابيا إلى ما ضن به على شريف ! ولكنه صرف الجند ليلقى بنفسه فى أحضان المشيرين عليه من الإنجليز الذين واتتهم الفرصة المرتقبة

وأقيلت وزارة رياض كما طلب الجيش ، ودارت أعين الأحرار تلتمس غيره فلم تقع إلا على شريف ؛ وهل كان ثمة غيره تقع عليه العيون ؟ ونظر شريف فإذا العاصفة هوجاء تنذر بفقد الرجاء ففكر فى الإحجام ولكن الرجل لم يكن من طبعه الإحجام ، وما كان ليرضى أن يترك البلاد فيما كانت عليه فإنما يعرف ذو العزم فى الشدة وعلى قدر عزمه تكون رجولته .

اشترط شريف ألا يكون لعبة فى يد الجيش فما كان هو بالرجل الذى تهون عليه نفسه إلى هذا الحد ، وقبل الجيش ما اشترطه ، فألف الزعيم الكبير الوزارة وكان أول عمل قام به أن أبعد زعماء الجيش عن العاصمة فخرجوا طائعين .

وراح شريف يصل ما انقطع فما كان ليحيد عما وهب للبلاد حياته من أجله ؛ فوضع نظام الحكم على أساس دستورى كأحدث الأسس الدستورية يومئذ ودعا البلاد لانتخاب مجلس نيابى .

ولما انعقد المجلس ترك له شريف النظر فى الدستور وأصوله فجعل منه جمعية تأسيسية يريد بذلك أن يجعل إلى الأمة مرد كل شيء

وخيل إلى البلاد أنها استراحت من عنائها ، وأن قد آن لها أن تسير إلى معالجة مشكلتها المالية فى هدوء ، وأن تمضى إلى إصلاح مرافقها والنهوض بشتى نواحى البناء والتعمير فيها ؛ فهذه هى وزارة الأمة حائزة لثقة النواب ، وعلى رأسها الرجل الذى تطلعت إليه آمال الرجال ، وهؤلاء هم نواب البلاد لا غرض لهم إلا العمل لخير البلاد .

ولكن — وما أوجع لكن فى هذا الوضع — هناك ... وا أسفاه من وراء ذلك دسائس لا تنام ولا تسهو ، ورؤوساً لم تتدبر الأمور كما كان يرجو شريف أن تفعل ، ومطامع شخصية هى علة العلل فيما أرى فى كل خلاف تشتعل ناره فى هذا الشرق المسكين ؛ وماذا كانت تجدى إزاء ذلك كله كياسة شريف وروية شريف، وماذا كان يغنى عنه بعد نظره وحسن تدبره عواقب الأمور؟

وكانت فرنسا هى التى بدأت بالتحرك هذه المرة فأشارت على انجلترة بالتدخل ، فرنسا التى سندت محمد على بالأمس ضد انجلترة حتى جد الجد فتراخت عزمتها دون نصرته حتى تحطمت قوته هى بعينها فرنسا التى تشير على انجلترة بالتدخل اليوم فى شئون مصر ! ألا ما أشقى الضعفاء بضعفهم ! كلا، بل لعمرى ما أتعس الأقوياء بقوتهم إن كان ما يبنونه لأنفسهم على حساب الضعفاء قصارى سعادتهم وبرهان إنسانيتهم ...

هذا هو مجلس النواب يجادل شريفاً وشريف يجادله فى أمر الميزانية وحقه فى نظرها أو عدمه ؛ أليست هذه مسألة داخلية بحتة ؟ ولكن الدولتين لا تعترفان بذلك ؛ ومتى اعترفت ذوات المخالب لغيرها من ذوات اللحم الطرى بحقها فى أن تعيش ؟ إذاً فلتحرم الدولتان على المجلس النظر فى الميزانية، ميزانية مصر، وإلا أفهمتاه كيف يكون الإذعان للسلطان لا للحجة والبرهان !

وتضيع جهود شريف عبثاً فى دعوه المجلس إلى الاعتدال... إلى الاعتدال ؟ أيطلب الاعتدال زعيم ثورى من هيئة ثورية ؟ ذلك ما راح النواب يتساءلون فيه ؛ ألا يا ويل كل رئيس من الظروف إذا كادت له فقلبت كل عرف لديه نكراً وألبست حوله بالباطل كل حق. لقد وصف اعتدال شريف بأنه خور وأخذت سياسته على أنها مرهوق، ألا هل من يعقل أو يتدبر ؟ ألا هل من يستمع له حينما فكر فى آخر حل فطلب تأجيل الأمر كله حتى يبحثه فى هدوء ؟ كلا لن يستمع له أحد . أيستمع إليه عرابى المتحفز المتوثب ، أو يدين برأيه البارودى الطامح إلى رياسة الوزارة ؟ أو يسكن إليه المجلس الذى كره الأجانب وتدخل الأجانب حتى لم يعد له على الصبر طاقة ؟

والدولتان أتتهاونان أو تريان جانب الحق؟ كلا . إنما ترسلان إلى الخديو أنهما على استعداد واتفاق لتأييده أمام ما عساه أن يصادفه من المتاعب ، ولا يتردد هو فى قبول هذه «المذكرة» ، فتثور ثورة الوطنيين ، ويطلب شريف من الدولتين مذكرة تفسيرية تهدئ الخواطر ولكنهما، وقد أرادتا إثارة الخواطر، لا تجيبان . . .

ويحمل الوطنيون على شريف زعيم الوطنيين فيحرجونه حتى لا يجد أمامه وسيلة لإقناعهم ، ثم يطالبون بإسقاط وزارته فيستقيل ويعود إلى داره ، فتندفع الثورة هوجاء قد جن جنونها ؛ ويفرح ذوو المطامع من الأجانب ، هؤلاء الذين أجابهم شريف إلى إعادة المراقبة الثنائية ووافقهم على قانون التصفية التى تم فى عهد رياض على ما كان فيه من عدوان وظلم ...

وتمضى الثورة فى طريقها ، والدولتان فى طريقهما ؛ ثم تنفرد انجلترة فتتغافل فرنسا كى تلتهم الفريسة وحدها ، وتضرب أساطيلها قلاع الاسكندرية مرتكبة بذلك أشنع ما عرف فى تاريخ الحروب من عدوان وغدر ، ويدفع عرابى مصر لتدافع عن نفسها فيكون جهاد فيه قوة وحماسة ، ولكنه لا يخلو مما منى به الشرق فى عصوره الأخيرة من ختل وخيانة ، فتفشل الثورة ويعود الخديو من الاسكندرية ليجد فى طريقه إلى قصره فرقة من الجيش البريطانى تصدح موسيقاها بالسلام الملكى الانجليزى ... وتقع على هذا المنظر عينا شريف وقد عاد معه ، فلا يملك — على ما يقول الرواة — ذلك الرجل الكبير دمعه فيجهش كما يجهش الطفل ! ألا ما أغزر ما تفيض به الدموع من المعانى !

بكى شريف وحق له أن يبكى فهذه جهوده تذهب عبثاً ،

بل هذه مصر تصبح وهى لا تملك من أمرها شيئاً ؛ وما كان شريف غداة طلب من المجلس الأناة والاعتدال لعمرى خواراً ولا مارقاً ؛ بل لقد كان يومئذ يقف أجل وأعظم موقف فى حياته ، موقف الشجاعة التى لا تتملق النواب ولا تخشى فى الحق ما يعلنه الرأى العام ، والتى لا يغرها مديح أو يستهويها الحرص على إطراء الجمهور ورضاه ، وموقف الكياسة فى معالجة الأمور ، والنظر فى عواقبها ؛ وإنا لن نجد فى الحق موقفاً يوضح أخلاق شريف ويكشف عن طباعه خيراً من هذا الموقف الجليل . والزعيم الحق هو الذى يهم بما يراه حقاً ويصر عليه مهما لاقى من عنت ، وإلا فعلى أى أساس دون ذلك تقوم زعامته ؟

ودعى شريف بعد الاحتلال لتأليف الوزارة فلم يحجم ، ودخل رياض فى وزارته ، وما كان قبوله الحكم فى تلك الظروف عن رغبة منه فى المنصب ، فهو يرى ما يطلبه المنصب الآن من جهد شاق وصبر طويل ، وإنما كان موقفه موقف ذى النجدة الذى لا يتسرب إلى عزمه وهن ما دامت فى جسده حياة . . . كان موقفه موقف المخلص الذى يسيره إخلاصه ويملى عليه ما يجب أن يعمله حتى ما يستطيع أن يفلت أو يتردد إن فكر فى ذلك أو مال إليه

وكان طبيعياً أن يجرى فى وزارته على خطته قبل الاحتلال ، أو على الأقل كان طبيعياً أن يقبل تأليفها على هذا الأساس فإن ذلك وحده هو الذى استطاعه ، ذلك أنه ما لبث أن رأى الإنجليز هم كل شىء على رغم ما كانوا يذيعونه من وعود بالجلاء فى مشرق الأرض ومغربها

وجاءت الفتنة المهدية فى السودان فأرادت انجلترة أن تخليه مصر لتعيد فتحه من جديد ؛ وأبى شريف إلا أن يضيف إلى محامده ومآثره فى هذا الوادى مفخرة سوف يقترن بها اسمه الكريم على مدى الأيام ، فرفض ذلك الاقتراح وقال كلمته التاريخية التى تنطوى على كثير من المعانى : « إذا تركنا السودان فالسودان لا يتركنا »

ولكن انجلترة التى تعتزم الجلاء عن مصر تصرح على لسان معتمدها أنه على الوزراء والموظفين أن يعملوا « بالنصائح » التى تسديها حكومة جلالة الملكة وإلا فعليهم اعتزال مناصبهم ! ولا يتردد الخديو أن يقبل حتى هذا التصريح !

وعرف شريف من المقصود بهذا التصريح ، وهيهات أن تسير الوطنية مع نوايا الاحتلال والعبودية ، لذلك لم يكن بد أن يختم شريف حياته السياسية بالاستقالة من وزارته الرابعة والأخيرة بعد أن قضى فيها عامين ... وكانت هذه كبرى استقالاته إذ كانت تنطق بشهامته وصراحته ؛ وتفيض برجولته فهو لا يستقيل « لأسباب صحية » ولكنه يحتج على محاولة سلخ السودان وعلى هذا التصريح الذى يتنافى مع الدستور ويتنافى مع الاستقلال ، وكان ذلك عام ١٧٨٤

قلت لنفسى ...

حتى العلماء ورّاث النبوة وأولياء الحكمة يجوز عليهم ما يجوز على أتباع الهوى وعباد الشهوة من بنى الأرض !

— وما ذاك ؟

— يقولون إن فى الأزهر عريضة ، فضيحتها طويلة عريضة . وإذا صح ما تلهج به حولها الألسنة فقد استشرى الضلال حتى حارت الهداية ، واستحكم النفاق حتى فجرت الغواية . وإذا ضل الدليل ، فكيف تُسلك السبيل ؟

يتحدثون أن نفراً من العلماء جعلوا قيادهم فى يد الهوى فدلاّهم بغرور ومنّاهم بباطل وزين لهم أن يشغبوا على الإمام المراغى مظهر الإسلام المشرق ، وممثل الرأى الصحيح ، وأول من وحد بين المُلك والدين ، ووفق بين الأزهر والدنيا ؛ فمضوا يظهرون عريضة فيها الرجاء والثقة ، ويسترون عريضة فيها التمرد والإفك ، وطافوا بهما على علماء المعاهد يقرأون عليهم ما فوق ، ويضعون أختامهم على ما تحت ، حتى اجتمع لهم من هذه الإمضاءات المغشوشة سبعون ونيف ، فدخلوا بها على الأستاذ الأكبر دخول النذير المدل بما وراءه ، فتلقى الإمام هذا النزق بحلم العظيم ورفق الكريم ؛ ثم تدارك الله الحق فبرح الخفاء وشاعت الفضيحة . وقال الأعمى أنا لا أقرأ ، وقال الغافل أنا لا أفهم ، وقال الخادع أنا لا أستحى !

بهذا يتحدث الناس وربما كان فى الحديث افتراء ؛ فإن رجال الدين أكرم على الله أن يجعل فيهم هؤلاء ، وهل يخشى اللهَ من عباده إلا العلماء ؟! ابن عبد الملك

استطلاع صحفي

الأندية الأدبية في مصر

مقهى الفيشاوي

(لمندوب الرسالة الأدبي)

أتعرف الحيّ اللاتيني يا صاحبي ؟

أقصر الطرف، وقرّب الفكر، واقتصد في الخيال، فلا تذهب إلى ما وراء البحار إذ تحسبه في باريس مدينة العلم والنور، وبلد الطرافة والحسن، ومبعث الفتنة والخروج على الوقار ...

إلى هنا يا صاحبي ! في قاهرة المعز لدين الله، موطن المجد القديم والعز التالد والتاريخ الحافل، حيث المسالك الضيقة والدروب الملتوية والشرفات المتشابكة والسطوح المتواصلة والبناء العتيق العتيد، الذي أفنى جدارُه القرون وما زال تتجلى فيه روعة الفن الشرقي الخالص، وعبقرية الذوق المصري الصحيح ...

إلى هنا يا صاحبي ! حيث الأزهر يعجّ بأبنائه من سائر الأقطار، ومشهد الحسين يضج بقصاده من جميع الأمصار، وخان الخليلي معرض الكهرمان والآبنوس والصدف والعاج والسجاد الفاخر يتلهف عليه السائحون ومجانين الأثرياء؛ والغورية سوق العطر والأصباغ والألوان وكل مساحيق التجميل البلدية والأوربية تتزاحم عليها أسراب الفتيات من كل هيفاء هي منية النفس، ومن كل شوهاء هي فداء إحسان(1)، ومن كل عطبول رداح يفديها صاحبنا بيرم بأبيه وبروحه إذ يقول :

بأبي وروحي اللابسات خلاخلا   الآكلات مدمساً وفلافلا

إلى هنا يا صاحبي ! حيث يمتزج القديم بالحديث، ويختلط الطيب بالخبيث، ويتلاصق الوضيع بالرفيع، ويتساوى الأصيل بالدخيل، فتتجلى لك القومية المصرية في تباين المظاهر واختلاف الطبقات، وتتبين لك الفارقات في أذواقنا وسلوكنا ومدنيتنا إذ ترى عربات سوارس والكارو ما زالت تجرجر وتكركر إلى جانب مركبات الترام والأتوبيس والفيات . . .

إلى هنا يا صاحبي حيث سوق البقول والأفاويه والتوابل والأعشاب، والبن بجميع أصنافه، والشاي بسائر ألوانه، واللب



الأستاذ فكري أباظة في جمع من إخوانه النواب والصحفيين يرشفون أكواب الشاي على الفيشاوي في ليلة من رمضان

المحمص، والحمص المقلي، والبطاطة المشوية، والعدس القشري؛ وما إلى ذلك من الأطعمة الشهية التي تخالف في عرضها وفي طهيها كل شروط الصحة على أنها عند أهلها كل قوام الصحة والعافية، فهي لهم ملء البطن، ومشتهى النفس، ورغبة العين ...

إلى هنا يا أخي ! حيث درج محمد عبده وسعد زغلول وحمزة فتح الله والسيد المرصفي والسيد القاياتي وإبرهيم الهلباوي ومحمد أبو شادي ومحمد السباعي وطه حسين وأستاذنا الزيات وزكي مبارك وغير أولئك ممن أعرف ومن لا أعرف من رجال مصر في السياسة، وأعلامهم في الرياسة، ونبهائهم في الأدب والفضل والصحافة ...

إلى هنا يا أخي، فذلك هو الحي اللاتيني كما يسميه الظرفاء من أهل الأدب، والنبهاء من أولاد البلد !

في هذا الحي الذي رأيت، وعلى خطوات من مدخل خان الخليلي

(1) هذا من وضع صديقنا المرحوم إبرهيم الجزار لكل قبيحة تتزين، أخذه من قول السيد القاياتي : فداؤك يا إحسان كل دميمة... البيت

وفي عام ١٨٨٧ يموت هذا الرجل العظيم وهو على سفر في النمسا فتتلقى مصر جثمانه وتمشي خلف نعشه الجموع الهائلة التي لم تر مثلها البلاد من قبله، فهذه أول جنازة شعبية في تاريخها الحديث. هذه هي السابقة التي سترى مكبرة عظيمة يوم تضيق القاهرة بالمنتخبين من أبناء مصر يشيعون جثمان رئيس الثورة الثانية زعيم الوفد الأول، ذلك الذي كانت حياة شريف أيضاً وجهاده القومي سابقة قومية لحياته وجهاده ... رحم الله العظيمين وجزاهما عن وطنهما خير ما يجزى به الشهداء والمجاهدون «تم»

الخفيف

الضيق من جهة الحسين بقع مقهى الفيشاوى العتيد، فهو فى موضع بعيد عن جلبة السابلة، وضوضاء المركبات، فأحر به أن يكون فى غمرة من الهدوء والسكون، ولكن الله ابتلاه بكثرة الباعة، وإلحاح ذوى الحاجة، وصوت النادل الأجش يرفعه عالياً عالياً فى المناداة على المطلوب وشرح المطلوب فيكون له دوى وطنين لا يتحمله إلا الذين تعودوه

ومقهى الفيشاوى فى رواثه آية من آيات الفن القديم، وصورة قوية من الذوق الشرقى الذى يغرق بطبعه فى التجميل، ويهول فى التزين، ويخلبه البريق واللمعان، فيحمل الصورة فوق ما تطيق من التمويه والتوشية، وكثرة التلافيف والتعاريج، وأنت تستطيع أن تستجلى ذلك كله فى تلك المرايا الضخمة الفخمة التى علقت بجدران الفيشاوى وتجاه مدخله بالشارع ...

ويهدف إلى الفيشاوى كل أدباء مصر بلا استثناء، فى فترات قد تبعد وقد تقصر، ويدمن الجلوس فيه طبقة خاصة من مفاليك الأدب، وصعاليك الصحافة، وصرعى الآمال فى المشاريع الحرة، والذين عاكستهم الأقدار فى نيل الشهادات والفوز بوظائف الحكومة، ومن شطت بهم الدار من الأقطار الشقيقة فى طلب الرزق أو طلب المجد، يتلفف هؤلاء حول موائد « الشاى المفتخر » كل مع من يشاكله ويأنس إليه، فيغرقون فى الحديث عن أنفسهم، أو يتلهون بالنرد ولعب الورق على تدخين النارجيلة ورشف أكواب الخمر الحلال: أكواب الشاى الأخضر والأحمر والأسود والأبيض الذى يتيه الفيشاوى بصنعه على كل مقاهى القاهرة، وكأنى بأدباء الفيشاوى يجدون فى هذه الأكواب لذة وغناء عن أكواب بنت الحان ...

وكثيراً ما ينطلق أدباء الفيشاوى على طبيعتهم، فيتشاجرون بالنادرة، ويتضاربون بالنكتة، ويغرقون فى المرح إلى أبعد حد، ويرسلون الضحكات عالية قوية كلها سخرية بالحياة، واستهانة بقسوة الدهر، واستخفاف بعبث الأيام ومطالب العيش، فهم يضحكون عن فلسفة ونظر، وكأنهم يقولون: ولماذا يا أخى لا نضحك، وقد تحملنا من الرهق فوق الطاقة، ولقينا من الأقدار ما تنوء به عزائم الرجال؟ فيالها من دنيا لا تستحق إلا الهوان ...

وأدباء الفيشاوى يتباينون فى ثقافتهم، ويختلفون فى عقليتهم وإن كانوا جميعاً فى نظرتهم إلى الحياة سواء، فتجد فيهم الشيخ الأزهرى الذى يرغى ويزبد بالقافات كما يقول حافظ، وفيهم الأديب الظريف الذى يملأ جعبته بنوادر السابقين واللاحقين، وفيهم الصحافى الذى يضيق رأسه بأخبار الملاهى والمسارح ونجوم السينما والمسرح فى هوليود وعماد الدين، وفيهم من يضج لسانه بالعجمة ويرتضخ بالعامية وكل ما عنده جملة طيبة من أسماء الأدباء فى الشرق والغرب، وهو يحسب أنه رأس المفكرين، ولله فى خلقه شئون.

ويجرى ذكر الأدب والأدباء فى حلقات الفيشاوى، فيذكر من الكتاب العقاد والمازنى وطه وهيكل والزيات وأحمد أمين وزكى مبارك وكل كاتب فى مصر، ويذكر شوقى وحافظ ومطران وشكرى والزين والهراوى والأسمر وكل شاعر حى أو غبر، ويذكر حافظ عوض وعبد القادر حمزة وأنطون الجميل وصاحب الهلال وإخوانهم فى الصحافة، ويذكر يوسف وهبى، وجورج أبيض وسليمان نجيب، وعزيز عيد، وفاطمة رشدى، وزينب صدق، وأمينة رزق، ومن لا أعرف من أهل المسرح، ولكن كل هؤلاء لا يفوزون من أدباء الفيشاوى إلا بابتسامة؛ ولست أدرى أهى ابتسامة الرضى والإعجاب أو الهزء والاستخفاف. وعلى كل حال فهم يرون أنه لولا معاكسة الأقدار، وقسوة الحظ لكان أقل شخص فى الفيشاوى أكبر من أى شخص من هؤلاء فى النثر أو فى الشعر أو فى الصحافة أو فى التمثيل، كل فيما يحاوله ويرغب فيه، وجبراً لخاطر إخواننا فى الفيشاوى نلعن ذلك الشىء المدعو بالحظ، قاتل النبوغ، وقابر العبقريات ...

وللفيشاوى « موسم » يتم له فيه المجد، ويبلغ الغاية من الجلال والكمال، وذلك فى رمضان إذ تنشد النفوس الإنابة وحسن الثواب وتطلب السهرات البريئة الطيبة فتستبدل أكواب الشاى بأكواب المعتقة، ومن ثم تجد فى حلقات الفيشاوى رجال السياسة والأدب والصحافة فى مصر، فتجد لطفى السيد باشا، وهيكل باشا، وحفنى محمود، وعبدالرحيم محمود، ونيازى باشا، والصحافى العجوز، وفكرى أباظه، ولطفى جمعة؛ وكثيراً من النواب وأساتذة الجامعة وشيوخ الأزهر، كل منهم فى حلقة حافلة، يشدون أطراف الحديث طلباً للسمر، واستعانة على السهر، حتى السحور

ثم يأتى العيد، فينفض السامر الحافل، ويعود الوضع إلى مستواه، ولا يبقى للفيشاوى إلا الذين يعكفون عليه من أمثال الشاعر ابراهيم الدباغ والأستاذ عبد العزيز الأسلامبولى صاحب المعرفة، والشيخ سلطان الجهنى المحرر بالوفد، والشيخ على عامر المحرر بالدستور، وصديقنا الشيخ البهى المحرر بالمقطم، والشاعر

حُورِيَّتِى تَسْأَلُ...!

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

« مهداة إلى شفتيها الطاهرتين »

قالَتْ: لقدْ غربَ الشُّعاعُ! فقُلْتُ: مَا
غَربَتْ بَشاشَتُهُ وأنْتِ بِجَانِبي!

قالَتْ: وَكَيْفَ؟ فقُلْتُ: أنتِ شُعَاعَةٌ
بَيْضاء فى قَدَحِ المَســاءِ الذَّائِبِ

تَفْنَى الأَشِعَّةُ والعَوالِمُ خَلفَهَا   وسَناكِ يُشْرِقُ فى قَتَامِ غَياهِبي

أنْوارُ حُبِّكِ خَالِدَاتٌ فى دَمى   غَمرَتْ لَدَىَّ مَسالِكى ومَذاهِبي

بِسِواكِ لاتَزِنُ الوُجُودَ بَصِيرَتى   إلاّ بِوَهْمٍ فى الجَوانِحِ سارِبِ

لا تَنْدُبى شَمْسَ النَّهارِ، فَطالَمَا
دَارَتْ رَحاها فِى الضُّحَى بِمَصَائِبى

طَلَعَتْ عَلَىَّ فما لَمَحْتُ لَهَا سَنًا
فى الأرْضِ تَرْفَهُ فى يَدَيْهِ مَتاعِبِى

النَّاسُ حَوْلِىَ أنفُسٌ مَطْمُورَةٌ
فى بَهْرَجٍ دَنِسِ السَّرِيرَةِ كَاذِبِ

أشْبَاحُهُمْ سَقَطُ القُبُورِ، وَطَيْفُهُمْ
ـ قَدَّسْتُ طَرْفَكِ عَنْهُ ـ بُومُ خَرَائِبِ

هَيَّا اتْرُكِى عَنْهَا الحَدِيثَ، فَإِنَّنِى
عَنْ دَهْرِها لَسْتُ الغَدَاةَ بِعاتِبِ

عَمْيَاء كابْنِ الطِّينِ تَخْبِطُ مِثْلَهُ   خَبْطَ المُحَيَّرِ فى هَجِيرٍ سَباسِبِ

مَالَتْ وَحادِيها الظَّـــلامُ لِشَاطِئٍ
فى الغَرْبِ مِنْ جُرْحِ المَطَامِعِ خَاضِبِ

مَرَّتْ جِنازَتُها بِطَرْفِى مِثْلَمَا   إثْمٌ يَمُرُّ عَلَى ضَمِيرِ الرَّاهِبِ...

نَسَّانِى الدُّنيَا جَبِينُكِ فَاسْكُبِى   قَبَسًا أعَزَّ من الشُّعاعِ الغارِبِ

أيَّامِىَ احْتُضِرَتْ! فَيَاوَيْلِى إذا   لَمْ يُحْيِهَا نُورُ الجَبِينِ الغائِبِ

* * *

قَالَتْ: وَمَا للنِّيلِ يُشْبِهُ ساجِدًا   نَسِىَ الصَّلاةَ وَلَجَّ فى اسْتِغْفَارِهِ؟

قُلْتُ: ارْقُبِيهِ، لَعَلَّ مَوْجَةَ شَطِّهِ
تُنْبِيكِ دُونَ النَّاسِ عَنْ أسْرَارِهِ

هُوَ شَاعِرٌ مِثْلِى رَآكِ فَرَقَّ لِى   وَأذَابَ هذا السِّحْرَ مِنْ أوْتَارِهِ

وأعانَ مِزْهَرِىَ الجَرِيحَ عَلَى الهَوَى
وَشَــدا بِلَوْعَتِهِ عَلَيْكِ وَنَارِهِ

وَمَضَى يُغَمْغِمُ فِى الضِّفَافِ، وَفِتْنَتِى
وَصَبَابَتِى تَنْسَابُ فى تَيَّارِهِ!

* * *

قَالَتْ: كَآبَاتُ المَسَاءِ أهَجْنَنِى!   قُمْ هُزَّ مِنْ فَجْرِ الخَيَالِ صَبَابَتِى

هاتِ اسْقِنِي نَغَمَ الصَّبَاحِ لَعَلَّنِى
أنْسَى عَلَى شَفَةِ المَسَاءِ كَآبَتِى!

قُلْتُ: ارْقُبِينِى فِى غَدٍ إنَّ الأَسَى
فى الرُّوحِ أخْرَسَ هَوْلُهُ شَبَّابَتِى!...

« وزارة المعارف »   محمود حسن اسماعيل

البائس الثائر على نفسه وعلى الناس والأيام عبد الحميد الديب ...

وعبد الحميد الديب هذا شخصية عجيبة متناقضة، تثير فى النفس بمظهرها وبأدبها وبسلوكها كل عواطف الإشفاق والقسوة والألم والضحك. فهو يعجبك بشعره، ولكنه يغضبك بسلوكه. وهو يضحكك بحديثه، ولكنه يؤلمك بمظهره. أشبعته الأقدار قسوة وإرهاقاً وبؤساً، وأشبعها هو استخفافاً واستهانة وزراية. وهو على حاله تلك يعتد بنفسه إلى أبعد حد، ويرفع شعره فوق كل شعر، فشوقى مهما سما فى تقديره لا يبلغ شعرة فى مفرقه، وهو ملازم للفيشاوي لا يريمه فى الضحى والأصيل والعشية، حتى لقد يبيت على كراسيه. ولقد جاء العيد وتفرق إخوانه كل إلى شأنه وبقى هو وحده على إفريز الفيشاوى ينشد:

يامعشر الديب وافى كل مغترب   إلا غريبكم فى مصر ما بانا
قدمتمو الشاة قربانا لعيدكم   والدهر قدمنى للبؤس قربانا

لقد تغير كل شىء فى الحياة! ومن ذا الذى ياعز لا يتغير؟! وها هو ذا معول الهدم يهدد مقهى الفيشاوى بالدمار تنفيذاً لقرار دائرة الأميرة شويكار. فهل يحفل أدباء الفيشاوى بتاريخ ناديهم العتيق وذكرى أيامهم الطيبة فيه كما يعنى بذلك أدباء الغرب؟ هيهات!

م . ف . ع

النُّـــور

للأستاذ أمجد الطرابلسي

تدجّى السّبيلْ وماتَ الدّليلْ
وتاه الرّفيــقْ
وهــذا الظّلامْ أضــاع الزّمامْ
فضلّ الطّريق
وخاف الرّحيلْ فأغــفى ونامْ وما يستفيقْ

* * *

وأين الصّباحْ يواسى الجراحْ
ويحيي الأمــلْ
سقته الحسانْ ضيــاء الدّنانْ
وخمرَ القُبــلْ
فألقى السّــلاحْ وراء الزّمانْ صريعَ المُقَــلْ

* * *

أقامَ الألَقْ وراء الغسقْ
يُنــيرُ المدى
وحولَ الخصورْ وفوقَ النّحورْ
يَصُبُّ النّـدى
صــبايا الشّفقْ رفعنَ السّتورْ له فاهتدى . . .

* * *

سباه الجمالْ وسحرُ الدّلالْ
وحــلوُ النّغَمْ
فألقى عصاهْ مُريقاً سَناهْ
وراء الظُّــلَمْ
وخلّى الضّلالْ وبؤسى المتاهْ لِرَكْبِ الألَمْ

* * *

هنا الليــلُ تامْ رهيبَ الظّلامْ
مهيبَ الحَلَكْ
وباتَ الصّباحْ أســيرَ المِلاحْ
رَضِيَّ الشَّرَكْ
فمن للهيامْ وراء البطاحْ وتحتَ الفلكْ ؟

* * *

طلبتُ الضّياءْ فجزتُ الجِواءْ
أمامَ النُّــورْ
نفضتُ الدّهورْ وخُضتُ البحورْ
لأحظى بنورْ
ظــلامُ الفناءْ يَعُمُّ القُصــورْ فكيفَ القُبورْ...؟

« باريس » أمجد الطرابلسى

المصور

شاهدت حاكيةً تأتى على الصوَرِ كأنما يتحدى رسمها القدرا
فقلت خلق بلا سمع ولا بصرِ لينفخ المرء فيها الروح إن قدرا

محمود غنيم



فن التجميـــــل
والمرأة في مختلف العصور
للآنسة زينب الحكيم

بينت فى مقال الأسبوع الماضى نشأة فن التجميل ، وأوضحت اتجاه المرأة بالنسبة له . واليوم نتحدث عن فن التجميل فى مختلف العصور .

استفسرت من أميرة كردية فى راوندوز عن الوسائل التى يتزين بها بعد أن أثنيت على جمالهن ، وعجبت إذا كان كله من إبداع الطبيعة ؛ فقالت : إننا نحن الكرديات ليست لنا أسرار . قالت ذلك علناً أمام رجلين من الأكراد كانا فى مجلسنا . وعند ما هممت بالانصراف ، وجدتها تستبقينى لحظات بعد انصراف الرجلين ، وانتحت بى ناحية خاصة من الحجرة الكبيرة ، ثم قالت : الآن أستطيع أن أصدقك القول جوابا عن سؤالك لى عن وسائل زينتنا . ورفعت غطاء حريرياً ثقيلاً عن صندوق ، فلما فتحته أوضحت لى محتوياته ، فأرتنى نوعاً من المسحوق الأبيض غير النقى ، وقالت : هذا نوع من تربة بلادنا كردستان نستعمله لتبييض وجوهنا بعد أن نمزج قليلاً منه بالماء

ثم أرتنى نوعاً من الكحل ونوعاً من الدهن يستعملنه لشعورهن ، وأطلعتنى على عدد من مناديل اليد الحريرية الزاهية الألوان ، هذا إلى جانب الحلى الذهبية الكثيرة التى تحملها فوق رأسها وصدرها وأطرافها ، والثياب الفخمة الثقيلة التى تلبسها وأسرّت إلىّ : « إننا كجميع النساء لا بد لنا من بعض الأسرار »

وما كان أشبه هذا الحادث بما حصل مرة مع أميرة هندية ، سئلت عن وسائل تزينهن قالت : « ليس لنا نحن الهنديات أسرار لأننا كجميع النساء كلنا أسرار » ومع ذلك ، فقد كانت تحمل أنواعاً من صناديق المراهم والدهون أينما ذهبت ، ووسائل تزين هاتين (الكردية والهندية) توضح أبسط وسائل الزينة وأيسرها اتباعاً



المصرية الفرعونية فى تمام زينتها فى استعدادها للعيد أو لحفلة دينية قوام رشيق وحلى فاخرة وثوب مطرز بدقة

وفى الحق أن التفانى فى اللجوء إلى الجمال المصطنع ، والتغالى فى إتقان فن التجميل دلت عليه نهضة صناعة قديمة تضارع أقدم الحضارات

فقد أوضحت الاستكشافات الأثرية ، وبرهن التاريخ ، على أنه قد وجد فى مقابر قدماء المصريين ، وعلى زهريات اليونان ، وفى نقوش بابل ، وفى الفسيفساء الرومانى ، أن الدهون قد استعملت بكثرة غامرة ، بحيث تجعلنا نتخيل أن وسائل التزين والتجميل استعملت فى تلك الأيام بحالة لا يمكن أن تكون أقل انتشاراً مما هى عليه فى أيامنا

فطالما وجدت تحت أكوام الآثار القديمة عشرات الآنية

التى احتوت على أنواع الكريم والأصباغ وسوائل التدليك من كل صنف

أما المرأة الرومانية واليونانية كما يقرر عنها أثنيس Athenaeus فقد استعملت مسحوق المحار الأرجوانى اللون « كالروج » للوجنتين ، واستعملت للشفاه أحمرها المعتاد . ومن المشاهد أن هذا اللون الأرجوانى لصبغ الوجنتين ، قد أعيدت بدعته من نحو سنتين ، ولا يزال يعرض فى الأسواق اليوم وتستعمله بعض السيدات ؛ وهذا دليل على تقصى مهرة مصنعى وسائل التجميل لتاريخ فن التجميل ، ودراستهم لنفسية المرأة ، وتتبعهم تفننها وتنوّع ميولها فى مختلف الحقب

أما المصريات فقد استعملن الكحل (الأثمد) ، ومن الغريب أنهن كن يسودن طرفى الفم بحيث يصل طول الخط الأسود الممتد من طرف الشفتين نحو سنتمتر أو أكثر قليلاً ، وتوجد نماذج من التماثيل التى توضح ذلك فى المتحف المصرى بالقاهرة

والأثمد يستعمل الآن بكثرة فى الشرق الأدنى لتسويد الأهداب ، وإظهار الحواجب ، وتفخيم العيون ، وكان يستعمل معجوناً كدهان للجفون السفلى مما أكسبها نظرة جذابة ، ولعل (الرّمل) Rèmel الذى يستعمل الآن هو اختراع مهذب عن ذلك

والإنجيل يخبرنا أن الزيوت العطرية كانت تستعمل لدهن الشعر ، وكثير من رءوس الموميات المصرية وجدت مغطاة بآثار شعر مصفف بطرق أنيقة لتجعيد الشعر وكيه وقصه . ووجد أن الزهريات الرخامية الفاخرة ، تحتوى على مراهم يرجع تاريخها إلى ٣٥٠٠ عام قبل الميلاد .

ووجدت مرايا من أيام الأسرة السادسة ، أى من نحو ٢٦٠٠ سنة قبل الميلاد ، وأقلام لتزجيج الحواجب من عهد الأسرة الثامنة عشرة أى منذ ١٥٠٠ سنة قبل الميلاد

وبفحص ما عثر عليه من آثار توت عنخ آمون الفخمة فى مقبرته ، وجدت آنية تحتوى على عطور لا تزال باقية من نحو ٣٣٠٠ سنة

وكان السعتر والمر ، والبخور والناردين ، وأنواع الزيوت ولا سيما زيت السمسم واللوز والزيتون ، كلها كانت المواد التى استعملت فى أقدم أصناف الدهون ، وكثير منها استخدم مع الكحل ، والحناء التى استعملت لصبغ الأصابع والأقدام ، ولا يزال يستعملها بعض الناس إلى اليوم

بل لقد اختص المصريون باختراع أغطية متقنة من الذهب والفضة ، لتغطية أظافر السيدات وتجميلها ، فكانت ترفع أو تستعمل وفق التقاليد .

ولعل طلاء الأظافر الفضى اللون والذهبى الذى يستعمل اليوم ، طريقة أسهل وأرخص من ذاك الاختراع الذى أخذت عنه على ما يظهر

والإسلام يأمر باتخاذ الزينة والتطيب ، والنظافة الشخصية . واستعمل العرب السواك كفرجون للأسنان

واستعملت الرومانيات الزنك الأبيض والطباشير لتبييض وجوههن فى بعض الأزمنة ، كما استخدمن الكحل لأعينهن ، والأحمر لوجناتهن وشفاههن

أما النساء المتمدنات اللائى وجدن فى الآثار القديمة فقد عرف أنهن استعملن مسحوقاً لطلاء الأسنان ، صنع من نوع من الأحجار . . .

وصنعت أنواع الكريم للتجميل من دقيق الشعير والزبد .

ويبض النساء شعورهن بطريقة يظهر أنها تشبه الطريقة البلاتينية التي اخترعت في أيامنا



التجميل بالوشم عند بعض القبائل الافريقية
حيث لا توجد الأحجار ولا الأصباغ ولا الحلى

وكانت مناضد زينتهن تحمل ثلاثة أصناف من الدهون في أوان قيمة، كما استعملن أنواعاً من الدرور الثمينة مثلما يستعمل نساء اليوم

وشاع استعمال العطور والمساحيق وحمامات اللبن ووسائل تجميل أخرى في أظلم الأوقات من العصور الوسطى ! بل لقد عمت البدع المتبعة، ونقلت من الشرق إلى الغرب وبالعكس بواسطة الصليبيين الذين أحضروا الفرسان وعرفوهم أسرار التجميل التي كانت محفوظة في (الليفان Levant) أي شرق بحر الروم

أسباب لها تأثيرها في طابع الأمم

في سنة ١٧٧٠ م قدم اقتراح للبرلمان الانجليزي ، يهدد بتحريم أي زواج لإحدى رعايا الملك إذا استعملن الروائح والأصباغ والدهون، كما حرم اتخاذ الأسنان الصناعية وغيرها. ولست أدري إذا كان هذا الاقتراح هو السبب في شدة اعتدال المرأة الانجليزية في استخدام أصباغ الوجه ، وانصرافها عن عمليات التجميل التي تحسن الأسنان الشائهة مثلاً ، فإن الانجليز ناس تقاليد ونظم !

وهل يمكن أن يكون هو السبب ذاته في عدم تشجيع القوم هناك على العناية بالنظافة الشخصية ، مضافاً إلى ذلك حالة الجو ! أظن أنهما معاً السبب المباشر في الروائح التي تنبعث من بعض المجتمعات الإنجليزية مما ينفر من حضورها أو الإقبال عليها ، لا سيما إذا ما كانت في أمكنة ضيقة

حاولت بعض المستعمرات الأمريكية أن تسن قوانين مشابهة لتلك ، قاصدة إلى إحباط نشاط المرأة في سبيل التزين ولكنها لم تفلح كثيراً

أما النساء الفرنسيات في بلاط لويس الثالث عشر فكان لهن ملء الحرية في استعمال الدهون من أغلى الأنواع ، وبذلك ساعدن على اختراع وتركيب العطور والكريمات وجميع المنتجات التي تزيد من جمال المرأة على أساس صناعي تجاري

وأظن من الواضح ما نشاهده من تأثير تلك الحرية بالنسبة لفن التجميل عند المرأة الفرنسية التي تغالى جداً في استخدام الأصباغ والعطور بحسن تصرف وذوق حسن كما سبق أن نوهنا

ولقد روج هذا ، دون ريب، تجارة وسائل الزينة وصناعتها ، وأحدث موجة من نوع خاص في جملة بلاد ولا سيما في الولايات المتحدة .



زنجيات أمريكا يعصبن سيقانهن بأسلاك معدنية لتصير دقيقة

فمثلاً حلاقو الشعر وأصحاب محال التجميل وأطباء جراحات التجميل للوجه والجسم ، وغير هؤلاء من الإخصائيين تعاونوا مع الصيدليين والمجربين على اختراع طرق ووسائل لما تركته الطبيعة بدون تشكيل حسن في نظر العصر وذوق التطور ، أو ما سببه شذوذ الخلقة من نقص أو ما فعلته تأثيرات ظروف حياتنا الحاضرة

ومن عوامل التوفيق أن تدخلت الحكومات فى هذا العمل من ناحية تقييد المقادير ومراقبة المركبات الكحولية خصوصاً المركبات السائلة

أما الصناعات الإضافية مثل صناعة القوارير الجميلة للروائح وآنية الذرور وأصباغ الشفاه وأشباهها فساعدت كثيراً على رواج استعمالها

على أنه مع كل الذى أسلفنا لا تزال هناك معارضة من بعض النواحى للتزين واستخدام الأصباغ : من ناحية الفضيلة من جهة، ومن جهة أخرى من ناحية مبدأ الإنسان الشخصى الذى لا يتفق والصورة المصطنعة التى تظهر بها الفتاة الحديثة والسيدة المقلدة

ولكن ما العمل و (الموضة) معلمة شاقة الرسالة والتطور سنة الحياة ؟

إن كثيراً مما يظهر مجرد بدعة وعجب لأول وهلة أصبح ضرورة ملحة فى سبيل المجاهدة للحياة التى يتعرض لها كثير من السيدات اللائى يضطلعن بالوظائف والحياة العملية

فعارضة الأزياء ، والبائعة ، والتشريفية ، والزوجة ، والفتاة التى تنتظر الزواج ، عليهن جميعاً أن يكن أنيقات غير متبرجات ، ولا داعى لأن ننبه الأذهان أيضاً إلى ما يستلزمه موقف الممثلة والراقصة والمغنية .

لقد أصبحت روح العصر تحتم أن تكمل ما ننقصه الطبيعة ، وأن نصلح ما تخطىء فيه ، لهذا تقدم المختصون فى التجميل بأنواعه جالبين معهم جميع ما يستطيعونه من المغريات للتزين ومحرضين عليه بشتى وسائل الإعلان .

لا عجب إذا فى نهوض فن من أقدم الفنون، تدرج فى نشوئه من مئات السنين ، وليس مما يطمس هذه الحقيقة ، أو يحط من قدر الفن ذاته ، الفكرة التى سادت بين الناس من نحو قرن أو أكثر قليلاً ، وهى أن الوسائل الاصطناعية للتجميل ليست إلا مغريات لسفلة نساء الأمم . إنما شدة مغالاة النساء فى التزين راجعة إلى قفزة عنيفة قفزتها المرأة لتحطم بعض ما تبقى من القيود الثقيلة التى شلت حركتها ، وعطلت تفكيرها طويلاً .

وما إسرافها الذى نلحظه ولا نوافق عليه إلا رد الفعل الذى يأتى بعدم الإصلاح والتوجيه ، وهذا ما سيكون موضع عنايتنا إن شاء الله .

زينب الحكيم



الحيـــاة

للدكتور محمد محمود غالى

من البويضة للشيخ — فيم تختلف المادة الحية عن المادة عديمة الحياة — الـكربون مكون أول للحياة — ذرة الراديوم — الشبه بين الحياة والمغناطيسية والنشاط الاشعاعى — أعمال « ليب » — إمكان تطور البويضة والحصول على كائن لا يحافظ على جنسه — آمال التجديد فى هذا السبيل

نَرقى مدارج الحياة ، وننتقل خلال ذلك من حالة لأخرى ، من طفل يلهو ويعبث بما يراه ، إلى غلام يلعب ويُعنى بتافه الأمور ، إلى شاب ممتلئ حركة ونشاطاً ، يكبُّ على العمل ويقوم بدوره فى المجتمع ، إلى رجل يهتم لأبنائه أكثر من اهتمامه لنفسه ، إلى كهل يتهالك فى خدمة عشيرته وبلاده ، ثم إلى شيخ لا يستطيع قليلاً ولا كثيراً ، يستند إلى عصاه إن تعسّر عليه السير ، اكتفى بمقعد فى حديقة المنزل ، حتى إذا تعسّر عليه هذا أيضاً قضى أيامه الأخيرة فى مضجعه ، طوراً بين ذكريات الماضى ومرارة الحاضر ، وتارة بين الداء وزجاجة الدواء ، كلنا نعرف آخر القصة ، وكلنا نعرف نهاية الهرم المحتوم .

هذه طريق الحياة ، كلنا عابرها ، من البويضة الضئيلة فى الرحم قبل مولد الطفل ، إلى هيكل مهجور فى الرَّمس بعد التجرد من الحيـاة — تُرى ما هى الحياة ؟ وفيم يختلف الإنسـان عن العصفور ، والعصفور عن التفاحة ، وهذه عن المجرة التى نستعين بها لنبعث للقارئ بهذا النوع من التفكير .

* * *

لقد ذكرنا أن جزيئات المادة عديمة الحياة هى ذرات كيميائية ، وأن الذرة تتركب من نواة مركزية يدور حولها الـكترونات[1] . وذكرنا أن المركبات المادية للـكائن الحى هى ذرات كيميائية مألوفة ، وأن العلماء يعتقدون أنه قد حدث أن مجموعة من هـذه الذرات تجمعت بطريق المصادفة بالـكيفية الموجودة بها اليوم فى الخلية الحية ، وتساءلنا : هل المادة الحية هى مجموعة من الذرات المادية ، أم هى هذه المجموعة مضافاً إليها الحياة ؟

أما أن المادة الحية تختلف عن المادة التى لا حياة بها اختلافاً يدل على وجود عناصر كيميائية جديدة لا نعرفها فى الثانية ، فهذا لا يقوم عليه أى دليل ، فـكل أنواع الذرات الموجودة فى إحداهما موجودة فى الأخرى ، فلا فارق هناك بين مادة ومادة من حيث أنها عناصر كيميائية .

على أن الذى يستطيع أن يؤكده العلماء ، أن المـادة الحية مركبة من ذرات معتادة ، لا تختلف إلا فى أن لها قابلية عظيمة للتماسك أو التجمع Coagulation فى جزئيات كبيرة بنوع خاص ، بمعنى أن معظم الذرات الأخرى المكونة للمادة المجردة عن الحياة ليس لها هذه الخاصة . خذ مثلاً الماء باعتباره المادة الأكثر شيوعاً أمامنا على سطح الأرض ، فإن ذرات عنصرية الهيدروجين والأوكسجين تتحد لتكون إما جزئيات هيدروجينية أو أكسوجينية أو ماء[2] .

على أن أيّا من هذه المركبات لا يحوى أكثر من أربع ذرات ، كذلك لا يتغير الموقف بإضافة الأزوت ، فإن جزئيات مركباته مع العناصر السابقة تحوى ذرات قليلة ؛ بيد أن وجود

---

(١) هذه النتائج تتأثر اليوم بالأعمال العلمية التى يقوم بها الآن لويس دى بروي (Louis de Broglie) عضو المجمع العلمى الفرنسى وأستاذ السوربون وحائز لجائزة نوبل ، كذلك بأعمال شرودنجر Shrodinger وغيرهما مما سيكون موضوع مقالاتنا فى المستقبل

(٢) كذلك الأوزون والماء الأوكسوجينى مجموعتان لجزئيات من عنصرى الهيدروجين والأكسجين

الكاربون مع هذه العناصر يُغيِّر الموقف كلية ، إذ تتحد ذرات هذه العناصر مع الكاربون لتكوّن جزئيات تحوى الواحدة منها آلافاً بل عشرات الآلاف من الذرات ، ويتكون جسمنا الحى من هذا النوع من الجزيئات الكبيرة

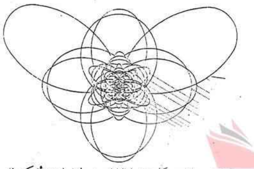
وقد كان يعتقد العلماء ، منذ قرن من الزمان ، لزوم قوة حيوية خاصة ، لإحداث هذه الجزيئات الكبيرة . على أن « فولر » (Wohler) استطاع بالوسائل الكيميائية أن ينتج أحد المركبات البولية (L'urée) ، وهو نتاج حيوانى كما تمكن علماء غيره من الحصول على مركبات حيوية أخرى

ولنعد إلى الكلام على ذرة الكاربون العجيبة فى كونها مكونة أولى للحياة ، فنرى أنها تتألف من ستة ألكترونات تدور حول نواة مركزية ، كستة سيارات تدور حول الشمس ، ولا يختلف الكاربون عن البورق (Bore) والأزوت أقرب الذرات شبهاً به فى الجدول الكيميائى ، إلا فى أنه يزيد سياراً واحداً عن البورق ، كما ينقص سياراً عن الأزوت ، ويبدو أن هذا الفارق البسيط هو الذى يعين كون المادة كاربوناً أو غيره ، وبالتبع يعين إمكان دبيب الحياة فيها ، أو استحالة ذلك

ومن هنا نتساءل ، عما إذا كانت الذرة التى لها ستة سيارات تدور حولها ، لها خواص استثنائية ترجع بها لسر من الأسرار العلمية التى لم تُكشف لنا ؟ إن الرياضة الطبيعية ، كما يقول السير جينز لا تجيبنا اليوم على هذا السؤال

وتدلنا الكيمياء على ظواهر أخرى تشبه ذلك أشار إليها السير جينز فى كتابه(١) وتبدو فى نظرى أهم ما فى هذا السفر الجليل ، فالمغناطيسية مثلاً تبدو واضحة فى الحديد (وذرته ذات ٢٧ ألكتروناً) وتبدو بدرجة أقل فى النيكل (وذرته ذات ٢٦ ألكتروناً) وفى الكوبلت (وذرته ذات ٢٨ ألكتروناً) ويلاحظ أن لذرات هذه العناصر الثلاثة عدداً من الألكترونات متتابعاً ، كما يلاحظ أننا لا نرى فى كل العناصر المادية الأخرى المعروفة لنا أى أثر للمغناطيسية ، فالمغناطيسية إذن ظاهرة خاصة بالذرات التى لها هذا العدد من الألكترونات

ولدينا فى العلوم الطبيعية مثال آخر ، هو النشاط الإشعاعى ، وهو ظاهرة نراها فى العناصر التى لذراتها من ٨٣ إلى ٩٢ ألكتروناً والتى تبدأ فى البزميث ورادون الراديوم وتنتهى فى الأورانيوم ، وقد بينا بالشكل الكيفية التى عليها ذرة الراديوم وفق بعض الاتجاهات الحديثة ، فهى كما تراها مركبة من نواة وسطى يدور حولها عدد كبير من الألكترونات يبلغ ٨٨ ألكتروناً كما هو مبين بالشكل



ذرة عنصر الراديوم كما يعتقدها العلماء ويتحرك فيها ٨٨ ألكتروناً

على أن هذه المقارنة بين المغناطيسية كظاهرة والنشاط الإشعاعى الذى يبدو ظاهراً فى الراديوم كظاهرة أخرى ، هذه المقارنة توجهنا إلى أن نضع الحياة فى قائمة الظواهر الطبيعية الأخرى كالظواهر المتقدمة

وعلى هذا الأساس ، فإن العالم مربوط بقوانين معينة ، ووفق هذه القوانين يبدو أن للذرات التى لها عدد معين من الألكترونات (٦ ثم من ٣٦ إلى ٢٨ ثم من ٨٣ إلى ٩٣) لها خواص مُعيّنة ، يظهر أثرها فى الأولى بالحياة ، وفى الثانية بالمغناطيسية ، وفى الثالثة بالنشاط الإشعاعى وفعل الراديوم .

* * *

فالذرة إذن فى جزىء المادة الحية لا تختلف فى مجموع ما فيها عن الذرة فى المادة المجردة عن الحياة ، ولكنتهما إذن نظام أشبه بالنظام الشمسى للمادة الذى سبق التحدث عنه ، وإن كان من الصعب أن تمثل على الورق جزيئاً من المادة الحية لكثرة عدد ذراته وبالتابع ألكتروناته كما مثلنا على الورقة الآن ذرة الراديوم . وبعبارة أقرب للوضع العلمى : إن كل ما يؤلف المادة الحية هو جسيمات أو كهارب فى حركة تمكن إرجاعها يوماً إلى علاقات ترتبط

(١) كتاب السير جينز (Sir James Jeans) العالم الغريب ترجمه للفرنسية بيلودل وروسينيول (Billaudel et J. Rossignol) مطبعة هرمان باريز (١٩٣٣) .

بالبحرين الكبيرين اللذين يغمران كل الكائنات : الحيز والزمن ، وبعبارة واضحة : إن المادة الحية كالمادة عديمة الحياة ، ترجع فى النهاية إلى حركة أو اعتبارات ألكترونية فى الزمان والمكان .

* * *

بقى أن نتساءل عن أمرين :

الأول: هل يجوز إذن، ابتداءمن مادة عديمة الحياة، أن نحصل فى مختبراتنا على مجموعة من المواد الحية كالمجموعة المكونة لنا ؟ أى مجموعة لها خاصية التناسل والتكاثر والمحافظة على نوعها ؟

الثانى: هل فى مجموعة الظواهر الحيوية مايفسرها بموضوعات طبيعية كيميائية ؟ وبعبارة أوضح ، هل يمكن بمعلوماتنا الحالية ، وبالرجوع إلى الميراث العلمى أن نرجع مجموع الظواهر الحيوية إلى موضوعات طبيعية كيميائية ؟

ولو أننا بعد التحرى الجدى ، وجدنا الإجابة على الأمرين بالإيجاب ، لجاز لنا أن نعتقد أننا كالتفاحة التى نأكلها ، والمحبرة التى نكتب بها ، بل لجاز لنا أن نعتقد أن لحياتنا الاجتماعية والأخلاقية ، أساساً علمياً ، يرجع إلى قواعد تتوافق مع نتائج البيولوجيا العلمية والطبيعية النظرية التجريبية

أيستطيع البيولوجيون والطبيعيون أن يرجعوا يوماً كل مظاهر الحياة ، كل ما فيها من صفات وغرائز موروثة ، حتى عظمة الرجل الذى يموت فى سبيل بلاده وهو راض ، حتى حنان الأم التى تتفانى فى سبيل أولادها وهى سعيدة ؟ أيستطيع العلماء إرجاع كل هذا ، كل ما فى الرجل من إرادة وآمال ، كل ما فى الأم من عطف وحنان ، إلى حوادث داخل أجسامنا ، تجد تفسيرها المادى فى الكيمياء والطبيعة والرياضة ؟ هذا ما أريد أن ألم به فى ختام هذا المقال

* * *

للعالم ليب J. Loeb أستاذ جامعة بركلى بالولايات المتحدة كتاب[١] عنوانه La Conception mecanique de la vie أى الفكرة الميكانيكية للحياة ، صادف نجاحاً فى أمريكا ، ترجمه إلى الفرنسية العالم المعروف هنري موتون Henri Mouton أستاذ الكيمياء الطبيعية فى السوربون، صادفت ترجمته أيضاً نجاحاً حتى أصبح البعض يعرف « موتون » بها أكثر مما يعرفه باكتشافه للألترامبكروسكوب وبأبحاثه[١] فى « تأثير المجال المغناطيسى على الظواهر الضوئية »

لقد لازمت موتون سنوات عديدة، وطالما جمعتنا الأيام منفردين فى مختبره بمعهد باستير ، وطالما حدثنى فى العلوم بما لا يَمُتُّ لعملى فى شىء ، وكان لهذه الاجتماعات أثر فى تكوينى ، وعجيب أنه لم يذكر « موتون » يوماً شيئاً عن « ليب » ، ولم أشعر أن أعمال الأخير شغلت يوماً حيزاً من فكر صديقى العالم

وعند ما افترقنا فى سنة ١٩٣٥ بوفاة « موتون » وبعودتى إلى مصر ، اقتنيت بطريق المصادفة تلك الترجمة المتقدمة التى أخرجها الآن من مكمنها بين الكتب بعد أن ظلت محتجبة أربعة أعوام ، لأستدل من رجل قضى سنين طويلة من حياته فى البحث التجريبى على الإجابة على ما تقدم ، ولأستدل على ما قد يُرضى رغبتى أن أجد فى الحياة أمراً غير التفاحة التى نأكلها ، والمحبرة التى أستعمل منها

والواقع أنه قد نجح « ليب » وغيره نجاحاً باهراً فى نواحى تجاربه العديدة ، هذه التجارب التى هى آية فى الدقة والتى تبعث على الإعجاب فى الوصول إلى تفسير مادى لكثير من الظواهر الحيوية ، هذه التجارب التى وإن انحصرت فى مخلوقات كالأسماك والحشرات إلا أنها قد تمتد يوماً إلى الحيوانات العليا كالإنسان .

وعند «ليب» وزملائه أن اتجاه الفراشة نحو الضوء فى خط مستقيم ليس إلا أثراً ضوئياً كيميائياً Effet Photo-Chemique ، بل إن تلقيح البويضة وإمكان تطورها إلى مخلوق دون الالتجاء إلى الحيوان المنوى Spermatozoide أو بالالتجاء إليه ، له عند « ليب » ومعاصريه تفسير كيميائى طبيعى

على أنه إذا كان العلماء قد يحصلون الآن على مادة عديمة الحياة فانه مما لا شك فيه أنهم لم يمكن حتى الآن إلا تحضير مجموعة من نواة مختلفة للخلايا ولكنها مجموعة لا تصلح أن تكون خمار تتكاثر وتحافظ على جنسها ، بالشكل الموجودة فيه فى الأحياء

لتكن عقائدنا بحيث يجمل بنا أن نمتلىء إيماناً بتقدمنا ، يجمل بنا ونحن ندرس أعمال العلماء المجيدة أن نعتقد أنه إذا كان

(١) هذا الكتاب فى المجموعة المعروفة باسم إميل بورل (Emile Borll) الطابع فلكس ألكان (Félix Alcan)

(١) لمسيو كوتون وموتون ظاهرة معروفة باسم ظاهرة « كوتون موتون » باسم العالم الكبير أستاذى كوتون رئيس المجمع العلمي الفرنسى الآن ، تذكرنا هذه الظاهرة بظاهرة زيمان وستارك للذين يعرفهما المشتغلون بالعلوم الطبيعية ، وإن اختلفت عنهما

لم يتح لأحد منهم حتى اليوم أن يوجد المادة الحية بطريقة يتكون بها كائن يتناسل ويحافظ على جنسه من مادة مجردة عن الحياة فإنه ليس من حقنا ولا في مقدورنا العلمي ، أن نجزم بأن هذه الغاية ضرب من المحال

إن أعمال «ليب» وغيره تدعو للاعجاب . وإذا كان قد نجح ونجح معه معاصروه فى أن يُرجع كل التطورات التى تتم عندتلقيح البويضة إلى مسائل كيميائية طبيعية ، بل نجح فى تعهد بويضة لم يلقحها الحيوان المنوى بحيث نتج منها كائن له قلب ومعدة وهيكل عظمى ، وتنقصه الدورة الدموية اللازمة لاستمرار الحياة ، كائن استطاع أن يعيش على هذه الأرض شهراً من الزمان — فإنه ما زال أمام العلماء إحداث كل ذلك بالاستغناء عن البويضة نفسها وعن كل ما يمس الحياة .

أيستطيع إنسان أن يوجد ، ابتداء من الذرات مهما تنوعت والألكترونات مهما تعقدت ، كائناً آخر ؟ كائناً يتطور ويترقى ليكون يوماً أو بعد ملايين السنين مثلك ومثلى ومثل « موتون » و « ليب » ؟ هـذه مسألة ما زال العلم النظرى والتجريبى بعيداً جد البعد عن الوصول إليها ، وإن كانت العلوم التجريبية تحتم علينا ألا نعتبرها ضرباً من الخيال

على أنه عند القرب أو الوصول إلى هذه الحدود ، يكون العلماء قد أحدثوا فى العلم تطوراً يفوق بكثير ما أحدثه جاليليو ونيوتن فى القرن السابع عشر ، وما يحدثه بلانك وأينشتاين ودى بروى فى العصر الحاضر .

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية ، ليسانس العلوم الحرة
دبلوم المهندسخانة

ما هى الحيـــاة ؟
وكيف ظهرت على الأرض ؟
للأستاذ نصيف المنقبادى

وحدة النباتات والحيوانات

يعتقد جمهور الناس أن الحيوانات (ومن بينها الإنسان) والنباتات والجمادات يختلف كل منها عن الآخر اختلافاً جوهريًّا كليًّا . وكانوا يعلموننا فى المدارس أن هناك عالم الحيوان وعالم النبات وعالم الجماد ، وأن كلاً منها مستقل تمام الاستقلال عن غيره . ولا شك فى أن من يلقى نظرة سطحية عليها يجد أنها تختلف فى الظاهر . فالحيوان يتحرك ، والنبات ينمو ، والجماد يبدو كأنه ثابت لا يتغيّر . ولكن الذى ينعم النظر ويدقق على ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة يتضح له أن هذه كلها اختلافات ظاهرية لا حقيقة لها فى الواقع

ونقصر اليوم حديثنا على وحدة النباتات والحيوانات (ومنها الإنسان) والصفات المشتركة بينهما وهى مميزات الحياة بعينها . ونبحث فى مقال قادم عن وحدة الأحياء عموماً (الحيوانات والنباتات والجمادات) لنستخلص من ذلك ماهية الحياة وكنهها وكيف أنها ظاهرة طبيعية مثل باقى ظواهر الطبيعة . ثم نشرح فى مقال آخر كيفية ظهورها على الأرض بفعل العوامل الطبيعية ، وعلى الأخص طاقة الشمس التى كانت تشتمل فى ذلك الماضى البعيد جدًّا على الكثير من الأشعة فوق البنفسجية وعلى إشعاعات أخرى أكثر مما تحتوى عليه الآن . وأخيراً نتكلم عن المواد المتوسطة بين الأحياء والجمادات كالخمائر الذائبة فى الماء وكالمعادن الغروية المدهشة التى تتصرف مثل الكائنات الحية فى أهم أحوالها

مميزات الحياة المشتركة بين الحيوانات والنباتات

نطلق على جميع الحيوانات (ومن بينها الإنسان) وجميع النباتات اسم « الأحياء » أو الكائنات الحية » . ونقول عن كل فرد منها إنه « حى » . وهذا يدل على أنها تشترك جميعها فى بعض صفات وظواهر هى التى تميز الحياة وتجمع بين الكائنات الحية على اختلاف طوائفها وأنواعها وأفرادها . كالشكل النوعى ، والتكوين الخلوى ، والتركيب الكيميائى ، والتغذي ، والتنفس ، والتحرك الذاتى والتطور الفردى والنوعى . وسيرى القارىء أن هذه الصفات وإن كانت تميز - مجتمعة - الكائنات إلا أنها ليست خاصة بها كما سنثبت فى مقال قادم ، بل هى توجد ولكن مشتتة أو مبعثرة فى الجمادات ، وكل ما فى الأمر أنها إذا اجتمعت فى جسم واحد قيل عنه إنه « حى » .

فلنستعرض هـذه المميزات المشتركة لنقول كلمة موجزة عن كل واحدة منها لأن مقام التفصيل فى كتب البيولوجيا . وحسبنا أن يكون فيما نورده هنا مقدمة أو تمهيد يسهل لقراء الرسالة الوقوف على الأبحاث الجديدة العظيمة التى كشف عنها العلم فى الثلاثين سنة الأخيرة مما سنشرحه فى المقالات القادمة .

الشكل النوعى : لكل نوع من الكائنات الحية شكل معروف خاص به يميزه من غيره لأول وهلة . وتستوى فى هذا الحيوانات والنباتات ، كما أن لبلورات الجمادات والمواد المعدنية البلورة أشكالاً هندسية ثابتة خاصة بكل نوع كيميائى منها تميزه من سواه .

وأشكال الحيوانات والنباتات تظهر ثابتة فى مدة معينة من الزمن . ولكن إذا نظرنا إليها خلال ملايين السنين - على ما تبدو لنا فى البقايا المتحجرة فى طبقات الأرض المختلفة التى تكونت فى الأعصر الجيولوجية القديمة المتعاقبة نجد أنها غير ثابتة ، بل إنها فى تغير وتحول مستمرين بفعل العوامل الطبيعية ، والمؤثرات الجوية وتقلباتها ، وتنازع البقاء بين الفصائل والأنواع والأفراد ومايترتب على ذلك من الانتخاب الطبيعى وبقاء الأنسب وانقراض غير الملائم للبيئة الجديدة والظروف الطارئة . غير أن فعل الطبيعة هذا تدريجى بسيط لا يظهر أثره إلا فى ملايين السنين فيخيل لنا أن أشكال الحيوانات والنباتات ثابتة على الدوام ، ولكن الحيوانات والنباتات المتحجرة التى عثر ويعثر عليها العلماء كل يوم فى مختلف طبقات الأرض فى جميع أنحاء الكرة الأرضية تدلنا على عظم تحول الأنواع وتسلسل الحديث منها من القديم . ويكفى أن نزور

الإنسان أحد المتاحف الجيولوجية فى أوربا ليقتنع بهذه الحقائق الثابتة التى يؤيدها من جهة أخرى علم التشريح التقابلى وعلم تكوين الجنين (راجع المقال القيم الذى نشر أخيراً عن هذا الموضوع بمجلة « الرسالة » للأستاذ عصام الدين حفنى ناصف)

التكوين الخلوى : إذا فحصنا بالميكرسكوب أية قطعة من جسم الإنسان أو أى حيوان أو أى نبات نرى أنها مؤلفة من خلايا صغيرة متلاصقة لا ترى بالعين المجردة ، والخلية مكونة من مواد زلالية بها قليل من مواد دهنية وسكرية ، وفى وسطها نواة من مادة زلالية خاصة ، ويحيط بها فى أغلب الخلايا غشاء من مادة زلالية أخرى فى الحيوانات ومن مادة السيليلوز (مادة القطن) فى النباتات، والشكل العام للخلايا الحيوانية والنباتية واحد ولا سيما فى الأدوار الأولى من تكوين الجنين ، ولكن الخلايا تختلف بعد ذلك بعض الاختلاف فى تفصيلاتها باختلاف وظيفة كل نسيج تدخل فى تكوينه ، كالخلايا العصبية وخلايا العضلات وخلايا الجلد وكالخلايا التى تدخل فى تركيب الأوراق وأعضاء الزهر والخلايا الخشبية والخلايا التى تؤلف منها الطبقة المولدة فى غصون النباتات.

وتوجد إلى جانب هذا كائنات من خلية واحدة وهى الحيوانات والنباتات الأولية التى لا ترى إلا بالميكرسكوب ، وكذلك كرات الدم البيضاء والحمراء

التركيب الكيميائى : تشترك جميع الأحياء من حيوانات ونباتات وإنسان فى تركيبها الكيميائى وهو تركيب الخلية نفسها ونعنى به ذلك الخليط من المواد الزلالية والدهنية والسكرية أو النشوية المتقدم ذكرها ، وبعض مواد أخرى إضافية ثانوية قد توجد فى بعض الخلايا ولا توجد فى غيرها

التغذى : معلوم أن النباتات تتغذى مثل الحيوانات . ذلك أن مادتها الخضراء (الكلوروفيل) تستعين بالطاقة الإشعاعية الكامنة فى ضوء الشمس لتحليل غاز حامض الكربون المنتشر فى الجو ، وتنتزع منه الكربون: (الفحم) وتمزجه بالماء الذى تمتصه جذورها من الأرض فيتولد النشا الذى يتحول تارة إلى السكر وتارة إلى السيليلوز ومادة الخشب، وتتولد أيضاً على هذا النحو المواد الدهنية وتراكيب وأحماض عضوية أخرى ثلاثية : (مكونة من كربون وهيدروجين وأوكسيجين) . وتمتص جذور النباتات فى الوقت نفسه من الأرض — مع الماء — تراكيب الأزوت مثل الأزوتات : النترات وأملاح النشادر ، وكذلك بعض مواد معدنية أخرى . وهذه المواد الأزوتية تمتزج بفعل قوة الشمس أيضاً بالسكر أو النشا ، وبالمواد الدهنية والأحماض العضوية المشتقة من كربون الهواء على الوجه المتقدم بيانه ، فتتولد المواد الزلالية التى هى أهم غذاء لها : أى للنباتات وللحيوانات ومنها الإنسان . وخلاصة القول أن النباتات تتغذى مثل الحيوانات وتتناول لغذائها نفس المواد التى تتغذى بها الحيوانات وهى : المواد الزلالية ، والمواد الدهنية ، والمواد السكرية أو النشوية .

كما أن الغرض من التغذى واحد فى الحيوانات والنباتات وهو، أولاً : توريد المواد اللازمة لتشييد بناء الأجسام الحية أثناء نموها وإصلاح ما يتلف ويستهلك منها. ثانياً : وهو الأهم، احتراق المواد الغذائية — بعد هضمها وامتصاصها — داخل أنسجة الجسم وخلاياه لتوليد الطاقة (التى كانوا يسمونها بالقوة فيما مضى) . والحرارة اللازمتين للقيام بأعمال الحياة ووظائف الأعضاء .

التنفس : ويلحق بالتغذى التنفس ، ولا يخفى أن النباتات تتنفس مثل الحيوانات أى أنها تمتص الأكسيجين من الهواء وتفرز غاز الحامض الكربونيك ، ولها مسام فى أوراقها وغصونها لهذا الغرض ، كما أن الغرض من التنفس واحد فى الحيوانات والنباتات وهو احتراق المواد الغذائية لتوليد الطاقة (القوة سابقاً) والحرارة الضروريتين لأعمال الحياة. وقد عرّف علماء الفسيولوجيا الحياة بأنها احتراق أوتأكسد La vie est une combustion

التحرك : والحركة لا تختص بها الحيوانات دون غيرها فإنه توجد — من جهة — طائفة كبيرة من الحيوانات السفلى تعيش ثابتة فى مكانها لا تتحرك منذ نشأتها ، وهى تتولد بعضها فوق بعض فى قاع البحار فتتكون منها جزر وهضاب لها شأن كبير فى علم الجيولوجيا مثل الحيوانات الجوفاء أو المرجانية وغيرها . وإلى جانب هذا توجد نباتات تتحرك حركة ذاتية من تلقاء نفسها مثل الأنواع المفترسة (راجع المقال الذى نشر فى هذا الصدد أخيراً بمجلة الرسالة للأستاذ رضوان محمد رضوان) . ومن النباتات المتحركة النبات المعروف باسم المستحية La sensitive ومنها فصيلة كاملة من النباتات الطحلبية Algues المائية ، وهى الفصيلة المسماة « بالمهتزة » Oscilaires ومنها جرثومة التلقيح فى النباتات السفلى فإن لكثير منها شعرة طويلة فى مؤخرها أو أهداباً عديدة حولها تستعين بها على العوم فى الماء فتتحرك وتنتقل وتروح وتجىء ، لا فرق فى ذلك بينها وبين الحيوانات الصغيرة ذات الخلية الواحدة

ولهذا سميت Zoospor أى الجرثومية التلقيحية الحيوانية ، وهى نبات محض

ولولا ضيق المقام لبيّنا أن السبب فى عدم تحرك النباتات فى مجموعها يرجع إلى مادة السيليلوز الجامدة التى تتركب منها أغشية خلاياها فتمنع امتداد الحركات المحلية الحاصلة على الدوام داخل كل خلية وذلك خلافاً للخلايا الحيوانية

التلقيح والتناسل والتطور : تتناسل النباتات كالحيوانات للتلقيح فى أغلب الأحوال (ولكن ليس فى جميعها على الإطلاق) ويشتق أو يولد كل فرد منها من فرد مماثل له ، ثم ينمو بالتغذية ، ثم يتناسل ويتكاثر بدوره ، ثم يضعف ويموت متأثراً بما يتراكم فى أنسجته من بقايا احتراق المواد الغذائية ومن تعفن فضلات الطعام داخل جسمه قبل إفرازها، عدا الحيوانات والنباتات الأولية ذات الخلية الواحدة فإنها أحياء خالدة لا تموت إلا إذا طرأ عليها حادث مهلك يقتلها كأن يجف مثلاً الماء الذى تعيش فيه أو يفسد.

وحدة الحيوانات والنباتات

ينتج مما تقدم أنه ليس هناك فرق جوهرى بين الحيوانات والنباتات حتى لقد حار العلماء فى إيجاد حد فاصل بينهما أو بحث للتمييز بين بعض الأحياء السفلى الملتبس فى أمرها لمعرفة هل هى حيوانات أم نباتات . ولم يجدوا أمامهم غير فاصل واحد هم أول من يعترفون بأنه سطحى ظاهرى ونعنى به مادة السيليلوز التى تتركب منها أغشية الخلايا النباتية فإنه لا وجود لها فى الحيوانات

ولكن هذا الفاصل غير شامل لجميع النباتات فى جميع أدوار حياتها لأنه توجد بعض الأنواع السفلى من النباتات الفطرية (Champignon) من فصيلة الميكزوميست تقضى حياتها كلها أو معظمها دون أن تكون لخلاياها أغشية من أى مادة كانت . غير أنه إذا ساءت الأحوال الجوية أفرزت هذه النباتات حول نفسها مادة السيليلوز فتتقى بهذا تقلبات الجو . أما فى باقى الفصول المعتدلة فإنها تعيش خالية من هذه المادة .

ثم إنه من جهة أخرى توجد فى جميع الحيوانات مادة تعد شقيقة السيليلوز من الوجهة الكيميائية وهى السكر ، فكلاهما مكون من امتزاج الفحم بالماء ولكن على نسب مختلفة فى كل منهما . ولذلك أطلقوا على هذه المجموعة اسم «هيدرات الكربون» التى منها أيضاً النشا ومادة الخشب

وهناك فاصل فسيولوجى بين الحيوانات والنباتات قد يكون أهم إلى حد ما من الفاصل المتقدم وهو كيفية التغذى فى كل منهما . فقد قلنا فيما تقدم إن الحيوانات والنباتات تتغذى على السواء ، وأنه لا بد لغذائهما من نفس المواد الزلالية والدهنية والسكرية ، ولكن الفرق بينهما هو أن الحيوانات تتناول هذه المواد مركبة مهيأة من الحيوانات الأخرى أو من النباتات . أما النباتات فإنها بحكم تكوينها لا تستطيع أن تتناولها مركبة (مع استثناء النباتات المفترسة) بل تركبها أولاً من الهواء والماء والأرض بفعل قوة الشمس بواسطة المادة الخضراء (الكلوروفيل) على الوجه المتقدم بيانه ثم تتغذى بها

على أن هذا الفاصل غير شامل لجميع النباتات ، فإنه فضلاً عن النباتات المفترسة توجد طائفة أخرى كبيرة هى النباتات الفطرية (Champignons) المعروفة بعض أنواعها العليا عند الجمهور فى مصر باسم « عيش الغراب » وهى خالية من المادة الخضراء فلا تستطيع أن تركب غذاءها بنفسها كما تفعل النباتات الأخرى ولكنها تتناوله مركباً — كما تفعل الحيوانات — من الأجسام الحيوانية والنباتية الأخرى . ومن أجل هذا نراها جميعها طفيلية تعيش على غيرها من الأحياء أو أجزائها الميتة أو مشتقاتها .

وعلى هذا تكون النباتات الفطرية الحلقة المتوسطة بين الحيوانات والنباتات، ولولا وجود السيليلوز فيها لعدها البولوجيون من الحيوانات. فهى نبات من جهة احتوائها على السيليلوز وحيوان من كيفية تغذيتها . وفى هذا الدليل الواضح على وحدة النباتات والحيوانات وعلى تسلسلها من أصل واحد وهو الجمادات كما سنبينه فى المقالات القادمة .

نصيف المنقبادى المحامى

دبلوم فى الفسيولوجيا العليا الحيوانية والنباتية
من كلية العلوم بجامعة باريس (السوربون)



التصوير الاغريقي
في مرحلته الأولى
للدكتور أحمد موسى

كان الفنان المصرى إذا صور جماعة من الناس أو الحيوان أو المواد ، فإنه يضعها بحيث يكون بعضها خلف بعض أو إلى جانبه ، من غير مراعاة الوضع الطبيعى الذى كانت تظهر به أمام عينيه ، وكان هذا هو الحال أيضاً عند ما أراد التصرف بعض الشيء – مثلاً – فى تصوير مائدة عليها أدوات أو مواد ، فتراه يصورها قطعة قطعة ، كما لو كانت متفرقة غير مجتمعة على مائدة واحدة ؛ ذلك لأنه لم يكن يعرف أصول تصوير المجسمات ، وعلاقة الحجم والبعد بالتصوير المنظور Perspective وكان هـذا سبباً جوهرياً فى ظهور مختلف المصورات التى مثلت شئون حياته الزراعية والصناعية والدينية والاجتماعية والسياسية وغيرها ، كما لو كانت متجاورة بالرغم من أن بعضها كان يجب أن يخفى البعض الآخر بحسب وضعه وراءها .

كما أن نظرة الفنان المصرى لجماعة من الناس بينها شخصية بارزة ، دفعته حيناً إلى إظهار هذه الشخصية بمقياس أكبر من المقياس الذى تقيد بتنفيذه فى مصوراته ، غير ناظر إلى موقع هذه الشخصية من حيث البعد أو القرب منه ، أو لوضعها بالنسبة إلى مجاوريها ، فضلاً عن نظرته إلى جسم الإنسان على وجه الخصوص ، كما لو كان شيئاً يُنظر إليه من وضعين مختلفين ؛ فتراه كما ذكرنا فى مقال سابق(١) ، نظر إلى الرأس والبطن والساقين والقدمين من الجانب ، على حين نظر إلى العينين والكتفين والبطن من الأمام .

هذا هو التقرير العلمى عن التصوير المصرى القديم ، ذكرناه لتعريف القارئ بعض الشيء عنه ، ليلمس الفوارق بين فنين قديمين أحدهما فن قومى والآخر فن مَثلى بلغ الذروة التى تدفعنا دائماً إلى تلمس آثاره والسير على نوره والعمل على استيعابه ، والمناداة بأنه وإن لم يكن أول الفنون جميعاً إلا أنه كان ولا يزال أعظمها خطراً وأجملها مظهراً وأصدقها تعبيراً .

لذلك كله لا نشك فى أن الإغريق خلقوا فناً تصويرياً حقيقياً



ش ١ (أورفيوس المغنى الساحر)
نقلا عن آنية الزهر المحفوظة بمتحف برلين – طابع بوليجنوت

تقدموا فيه بخطوات واسعة ووصلوا إلى نتائج باهرة .

إلا أنه لشديد الأسف لم يبق الكثير من آثارهم فيه ، وحتى الصور التى نقلت عن الأصول لا يمكن التأكد – غالباً – من صحة نقلها ، أو مطابقتها لما نُقلت عنه

وعلى ذلك فالتصوير الإغريقى الذى يمكن اتخاذه مادة لتأريخه

(١) راجع مقالنا : الفن المصرى – النحت والتصوير – بمجلة الرسالة

والوقوف على اتجاهاته ينحصر باستثناء قليل فى التصوير المرسوم على أوانى الزهر Vase Painting التى اتخذ منها الإغريق عالماً كاملاً لتصوير مختلف شئون الحياة عندهم ، وفى التصوير الزخرفى Decorotive Painting الذى جاء متأخراً ومعاصراً للرومان .



ش ٢ (سفر ثيسيوس بحراً)
نقلا عن آنية الزهر المحفوظة بمتحف بولونا — بوليجنوت

ولذلك كان معظم ما نعرفه عن المصور الإغريقى أو قل كل ما نعرفه عنه مأخوذاً من المصادر المكتوبة .

وبالرغم من أن التصوير وصل فى دقته إلى درجة مثيرة لكل إعجاب ، فإنه لم يكن ليصل إلى درجة السمو والعظمة التى بلغها فن النحت الإغريقى الخالد ، وهذا لا يمنع من ذكر بعض فنانين مصورين ارتفعوا بفنهم إلى درجة عالية لا يمكن إغفالها أو إهمالها إطلاقاً .

وإذا شئت فقل : إن الاختلاف الجوهرى بين فن التصوير الإغريقى ـ على قدمه ـ وبين فن التصوير « الحديث » محصور فى ناحية « الظل والنور » وناحية « التلوين » Colorit .

أما من ناحية روح الفن والطابع المميز والطراز والموضوع الإنشائى وتقدير الجمال والوثوب إليه رغبة تسجيله ؛ فإن مصورات الإغريق لم تكن لتقل نسبياً عن أعمال الفنانين المحدثين ،

فقد كان المصور الإغريقى قادراً على تجسيم الرسوم وإعطائها شيئاً من الحياة ، ولكننا لا نزال نكرر القول بأنه لم يصل للدرجة الهائلة التى وصل إليها النحات والمثال(١) .

وظل التصوير إلى القرن الخامس قبل الميلاد بدائياً بسيطاً ، أى أنه سار فى أول أمره بخطوات أبطأ بكثير من تلك التى سار بها فن النحت .

ولعل أول ما يمكن ذكره عنه هو أنه تطور فى مدرسة أتيكا، تلك المدرسة التى أسسها فى أثينا الفنان بوليجنوت Polygnot of Thasos المعتبر أول مصورى العالم بالمعنى الفنى ، والذى عمل بين سنة ٤٧٥ وسنة ٤٥٥ ق . م فى أثينا .

والفنان فى اعتبارنا لا يكون عظيماً إلا إذا كان له طابع مميز واتجاه معين ، مثله فى ذلك مثل الموسيقى والشاعر والكاتب ، وإلا ففى أى شىء آخر يمكن أن تظهر هذه العظمة ؟

إن كثرة إنتاج الفنان لما يساعد دون نزاع على درس طابعه واستخلاصه من خلال هذا الإنتاج ، ولكنها لن تكون سبباً فى تعظيمه أو تخليده ؛ إذ أن من بين أساطين التصوير من كان نسبياً قليل الإنتاج ومع هذا كان عظيماً ، على حين رأينا غيره ممن كثرت لوحاتهم وبقيت آثارهم لم يكن لهم نصيب فى الخلود فى عالم الفن ، نظراً لضآلة طابعهم المميز أو انعدامه .



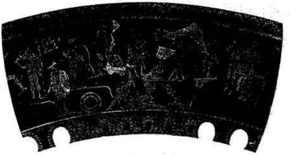
ش ٣ (عراك الأمزونات)
نقلا عن آنية الزهر المحفوظة بمتحف نيويورك — بوليجنوت

وها هو ذا المثل بين أيدينا ، فالمصور بوليجنوت مع قلة ما أنتجه وضآلة ما وصل إلى أيدينا من خلقه ، كان فذاً بارزاً

(١) راجع مقالينا عن فيدياس وبركسيتلس فى الرسالة (النحت) وكذلك مقالاتنا عن أكروبوليس أثينا وبارتنون وأرشثيون (النحت المعمارى)

لوضوح طابعه الدالّ على سمو نفسيته وقوة تعبيره ودقة ملاحظته.

ويتلخص هذا الطابع فى أنه أول من ابتدع التصوير التذكارى الذى سار فيه متجهاً نحو المثل الأعلى؛ فدلّ فى جلاء على النضوج العقلى. وإلى جانب ذلك يُعد پوليجنوت أستاذاً فى التصوير الخطى



ش ٤ (انهزام الأرجونات)
نقلا عن آنية الزهر المحفوظة بمتحف اللوفر — مدرسة پوليجنوت

أى المكون من خطوط تحديدية خصصها لتصوير موضوعات أخلاقية أظهر فيها ناحية الجمال المثلى، فكان كما أطلق عليه علماء الفن «مصور الأخلاق» Painter of Ethos، ويعنون بذلك الانتماء إلى الاتجاه الفلسفى الذى يعنى بالتفرقة بين عادات الإنسان وبين ميوله لتحقيق فكرة الخير أو العمل مندفعاً نحو الشر.

على أن هذا الطابع وهذا الاتجاه ليس دليلاً على النضوج الفنى الذى لم يصل إلى نهايته فى التصوير، ولذلك، كما قلنا، كانت معظم أعماله تصويراً خطياً لوّنها بألوان معدودة دون ظل ولا نور؛ فبدت أشبه شئ بصفوف بعضها وراء بعض على أرضية ذات مستوى واحد. وكان غالباً ما يرسم — فى ركن من الصورة — شجرة أو بيتاً قاصدا بذلك تميز مصوراته متخذاً معظم مادته الإنشائية من سير الأبطال.

وأشهرما تبقى من إنتاجه صورتان حائطيتان فى ردهة الاجتماع بمدينة دلفى، أولاهما مثلث «تخريب تروادة ورحيل الإغريق عنها»، وثانيهما زيارة أوديسيوس — بطل تروادة — للدنيا السفلى.

كما أن له صورة حائطية مثلث «تشاور الإخائيين» فى ردهة السوق. وغيرها تمثل «الديوسكوريين يخطفون بنات لويسپس» فى معبد ديوسكور أو معبد أبناء زويس من معشوقته إليدا Elida التى كان — كما تذكر القصة الإغريقية — يزورها وهو فى هيئة البجعة.

وكان له تلاميذ تأثروا به ونهجوا على منواله أهمهم ميكون Mikon الذى صور «أعمال ثيسيوس» فى معبد سمى باسمه، ورسم «عراك الأمازونات» فى ردهة السوق. وتنسب إليه أيضاً (؟) صورة حائطية موضوعها «موقعة ماراتون» فى نفس الردهة، وهى الموقعة المشهورة التى قامت فى البقعة المعروفة بهذا الاسم على ساحل أتيكا الشرقى، والتى ترجع شهرتها إلى النصر المبين الذى أحرزه الأثينيون تحت قيادة ملتيادس على الفرس فى ١٢ سبتمبر سنة ٤٩٠ ق. م.

ووجد حوالى نهاية القرن الخامس قبل الميلاد فنان ذو طابع جعل منه رائداً لمرحلة فنية، هو أپولودور Apollodor الأثينى، لأنه استطاع إبراز الصور بهيئة مجسمة وذلك بادخال التظليل فيها بعد أن كانت صوراً خطية. ولذلك يطلق عليه مؤرخو الفن «مصور الظل» Skiagrophos فخطى بذلك حظوة جديرة بالتسجيل والإعجاب.

احمد موسى

محمد القصبجى

من الوجهة الفنية

للأديب السيد محمد المويلحى

يحاول الآباء أن (يصبوا) أبناءهم فى (قوالب) المجد فيبذلوا وسعهم من جهد ومال ليحققوا هذه الأمنية المرغوبة ... ولكن القدر ... يقف وينظر ويبتسم ! لأنه يعلم أنه المسيطر الآمر الذى يهيئ المستقبل الذى لا ينقض !

أراد الشيخ (القصبجى) الكبير أن يكون ابنه « محمد » صورة له ، فيلبس العمامة ، ويتثقف ثقافة دينية تهيئه للتدريس بالمدارس الأولية ، فنجح إلى حد ما ... وحصل ابنه على كفاءة التعليم الأولى وامتهن التدريس سنة ... ولكن القدر كان يترصد الشيخ محمد الشاب المرح الذى يعبد الموسيقى ، فانتزعه من مدرسته وقلبه بين الحرمان والفقر وغضب الوالدين ، ولكنه تعلم خلال هذه المحنة كيف يتقن العزف إتقاناً عجيباً ... هذبته السنوات العجاف وربت فى نفسه رجولة قوية ، وصبراً طويلاً ، فتحدى الحياة ، وتحدى الفقر وانتصر عليهما ... ثم كان ما أراده القدر (القصبجى الموسيقار)

أول من خرج من الموسيقيين بتجديد (صحيح) وابتكار طريف ، وأول من جرد فغيَّر وبدَّل حتى أخرج للناس صوراً رائعة للموسيقى الفنية القوية

صاح فى الشرق صارخاً بقطعته الخالدة (إن كنت اسامح) فعرف الناس أن فى مصر صوتاً جيلاً لآنسة تردى العقال وتسمى (أم كلثوم) ... ! وأن فى مصر ملحناً شاباً يسمى (القصبجى) أنقذ (التخت) الشرقى والمصرى من جموده ، ونفض عنه ثوب (الملل) الذى كان يعلوه .

(إن كنت اسامح) ، هذا (المنولوج) الذى لحنه من نغمة (الماهور) بشكل لم يسبقه إليه سابق ، وقد بلغ من الذيوع والشهرة ما حبب الناس فى الموسيقى ولفت نظر الملحنين إلى هذا الفتح الجديد . وقد بلغ من إقبال الناس على شراء هذا (المنولوج) أن باعت منه شركة أوديون مليوناً ونصفاً من الاسطوانات

ابتدع فن التطويل والمد ، وأدخل على التلاحين الشرقية لوناً (كلاسيكياً) أخذ عنه وتأثر به أكثر ملحنى هذا الزمن

* * *

أهم ما يمتاز به عن غيره من الملحنين والمجددين أنك لا تستطيع أن ترده لحناً إلى لحن قديم سمعته ، وأنك مهما كنت بارعاً عالماً لا تجد تلحيناً له يشبه الآخر كل الشبه أو بعضه كما نسمع فى تلاحين غيره

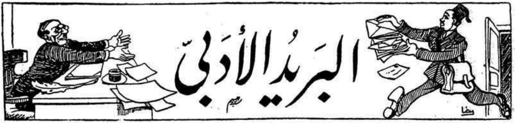


أخرج للناس أكثر من خمسمائة (لحن) ما بين مونولوج وأهزوجة ودور، ولكنه انفرد بالتوفيق الكامل فى (المنولوجات) وتمتاز تلاحينه القوية الحية بأنها لا تستغل الغرائز الدنيا فلا بكاء فيها ولا عويل، وبأنها تحتل الآذان فوراً لتصل إلى شغاف القلوب، فهو اللحن الوحيد الذى لا يكاد يخرج للناس شيئاً حتى تسمعه يجرى على لسان الرجل والمرأة، والولد والبنت ، لا فى مصر وحدها بل فى بلاد الشرق قاطبة

طيب القلب لا يخاصم ولا يناوئ ولا يحمل ضغينة أو حقداً إلا من أجل المال والعمل مع أم كلثوم !

يعجبنى فيه أنه شركة لا تنضب، فلو طلب منه تلحين (رواية) بأكلها وأغرى بالمال الذى يعبده لرأيت التلاحين تجرى على لسانه وتسيل من فيه كأنها آتية من بحر خضم !

سمع مرة رجلاً يبيع (الزيتون الأخضر) وينادى عليه بصوت جميل، وبنغم جديد سحره، فلم ير القصبجى بداً من متابعته والسير وراءه فى الأزقة والحارات والدروب ، حتى وصلا إلى شارع فى العباسية (شارع عبده باشا) وهناك حفظ اللحن والنغم الذى لحن به قطعته المحبوبة (يا فايتنى وانا روحى معاك) ..!!



شاذ فى تصرفاته ، ولعل الشذوذ ضرب من ضروب العبقرية ، فهو يركب الترام فإذا ألفاه مزدحماً ، وكان الجو حاراً تظاهر بأنه محموم وأخرج من جيبه (الترمومتر) ووضعه فى فيه وتهالك وأكسب وجهه منظر الذى سيموت بعد لحظات فلا يلبث الركاب أن ينسحبوا ، ولا يلبث الترام أن يخلو جميعه إلا من القصبجى الممثل ...!

هو على رأس العازفين فى الشرق ، وتعتبر (ريشته) أقوى ريشة فى مصر ، فهى تمتاز بالقوة والحلاوة والقدرة على الاستمرار فى العزف ليلة كاملة دون أن تسمح للملل بأن يتطرق إلى نفوس السامعين ؛ ومع ذلك فإن محطة الإذاعة تتجاهله ولا تحس بوجوده لأنه يرفض الأجر الذليل ...!

لولا بخله الشديد ، ولولا بيعه تلاحينه أكثر من مرة لكان شيئاً عظيما ... ولكنه إنسان !.

محمد السيد المويلحى

الدكتوراه الفخرية لصاحب الجلالة الملك

تشرف صاحب السعادة الأستاذ احمد لطفى السيد باشا مدير الجامعة بمقابلة حضرة صاحب الجلالة الملك لالتماس الموافقة من جلالته على قبول درجة الدكتوراه الفخرية التى قررت جامعة فؤاد الأول رفعها إلى مقامه السامى

وتفضل جلالته فوافق على قبول الالتماس وأمر بتحديد الساعة الحادية عشرة من صباح الغد (الثلاثاء ٢٨ فبراير) لإقامة الحفل الجامعى التقليدى الذى سترفع فيه الدكتوراه الفخرية إلى جلالته ، وتفضل جلالته كذلك فوافق على توزيع عدد من الدرجات الجامعية على الذين أجازتهم لهم إدارة الجامعة

وقد عهدت الجامعة إلى أحد كبار متعهدى الأزياء الجامعية بإعداد روب خاص لجلالته يختلف عن روبات جميع الكليات

وعهدت الجامعة كذلك إلى أحد متعهدى الداليات للسرايات الملكية فى صنع مدالية ذهبية فى حجم الريال تقريباً وستكون على شكل دائرى بداخلها تمثال للآله توت مصنوع من المينا وستكتب فى داخلها العبارة الآتية : « إلى حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ملك مصر المعظم ترفع جامعة فؤاد الأول درجة الدكتوراه الفخرية فى ٩ محرم سنة ١٣٥٨ الموافق ٢٨ فبراير سنة ١٩٣٩ »

وقد تقرر ألا تهدى الجامعة هذه الدرجة الفخرية إلا لأصحاب التيجان ورؤساء الدول . أما الدكتوراه الفخرية التى تقدمها الكليات فتمنح طبقاً للتقاليد المتبعة بعد موافقة مجلس الجامعة

وسيخطب فى حفلة الإهداء صاحب المعالى الدكتور حسين هيكل باشا بوصفه الرئيس الأعلى للجامعة ، ثم صاحب السعادة احمد لطفى السيد باشا رئيس مجلسها .

فى ذمة الله صديقنا الهراوى

فى صباح يوم الجمعة الماضى قضى بموت الفجاءة صديقنا الأستاذ محمد الهراوى ، وكان لليلتين خلتا فى دار الرسالة ملء السمع والبصر والشعور ، يناقش فى الأدب ، ويوازن فى الشعر ، وينشدنا قصيدته التى أعدها لموسم الشعر ، وما كنا ندرى أن ذلك الجسم الدافق بالحيوية ، وذلك القلب النابض



بالشاعرية ، يطويهما الردى فى مثل لمح الطرف ، فيخلو مكان الهراوى الوالد والصديق من بيته وناديه ، فيفتقده أبناؤه فإذا هو أثر ، ويسأل عنه أصدقاؤه فإذا هو خبر !

كل حى فان ، ولكن فناء الحى الذى طبع وجوده فى القلوب

والعيون والكتب والأمكنة تحدّ لهذه الحقيقة ، واعتراض على هذه القضية . وسيحيا الهراوى فى شعره الذى عاش فيه وله ، وفى قلوب إخوانه الذين أخلص لهم وبرّ بهم ، وسيكون من الصعب على الزمان والنسيان أن يطمسا هذه الشخصية المحبوبة بما خصها الله من سلامة القلب وعفة اللسان وكرم العشرة وصدق المودة . رحمه الله رحمة واسعة ، وعوض الأدب العربى منه خير العوض .

حول كتاب ضحى الإسلام

أرسل إلينا صديقنا الأستاذ أحمد أمين ما يأتى :

زعمت جريدة المكشوف — فيما نقلت الرسالة — أنى أوردت الأسماء العربية فى « ضحى الإسلام » محرفة فقلت : « زافار » بدل « ظفار » و « أريتاس » بدل الحارث و « فلاسفة العرب » مكان « مفكرو الإسلام »

وهذا كله غير صحيح ، وأنا أتحدى صاحب المكشوف أن يبين الصفحة التى وردت فيها هذه العبارات إن كان صادقاً

أحمد أمين

حول كلمتى ذكورة وأنوثة

حضرة الأستاذ الكبير ... صاحب (الرسالة) الزاهرة

السلام عليكم ...

وبعد فقد قرأت فى العدد (٢٨٢) من رسالتكم كلمة للأستاذ صلاح الدين المنجد تحت عنوان « حول كلمة أنوثة » أنكر فيها الكاتب الفاضل صحة كلمتى ذكورة وأنوثة محتجاً بأن اللسان لم يذكر الأولى بالمعنى المتعارف وهو مقابل الأنوثة ، وأما الثانية فلم يذكرها بتاتاً ؛ ولذلك حكم بعدم وجود كلمة أنوثة فى العربية . قال : وإنما هى أنانة

ونرى أن عدم ذكر اللسان — كغيره من المعاجم — كلمة لا يدل على عدم صحتها إلا إذا نص علماء اللغة على ذلك ، أو على الأقل خلت منها المعاجم الموجودة ، وإلا فمن حفظ حجة على من لم يحفظ .

ونلفت نظر الكاتب الفاضل إلى أن الكلمتين اللتين أنكرهما لم تنكرها المعاجم . ففى المصباح بمادة ذكر :

« والذكورة خلاف الأنوثة »

وهذا نص قاطع . وفى الأساس بمادة أنث :

« ونزع أنثييه ثم ضرب تحت أنثييه ، والأنوثة فيهما من جهة تأنيث الاسم »

وكذلك فى التاج . واستعمال هذا اللفظ فى بابه من معجم موثوق به دليل على صحته . وفى التاج أيضاً مادة فحل :

« وتفحل تشبه بالفحل فى الذكورة »

واللفظان جاريان على ألسنة المصنفين من الفقهاء وغيرهم ، ومن أمثلة ذلك قول النووى فى المجموع : « أما نبات اللحية ونهود الثدى ففيهما وجهان أحدهما يدل النبات على الذكورة والنهود على الأنوثة ... الخ »

إذن فكلمتا ذكورة وأنوثة صحيحتان شائعتان قديماً وحديثاً ولهما فى العربية نظائر كالطفولة والفحولة والأبوة والبنوة والأمومة والعمومة والخؤولة ... إلى غير ذلك ...

ولا أحسب أن أخانا الفاضل — بعد هذا — يرى أن لفظ (أنانة) أسوغ من لفظ (أنوثة) مع ما قدمناه والله أعلم

« حضرموت : سيوون » صالح الحامد العلوى

تخليد ذكرى مختار وإقامة متحف مؤقت لمخلفاته

كانت إدارة متحف فؤاد الأول الزراعى قد قدمت اقتراحاً إلى ولاة الأمور فى صدد إقامة متحف خاص لمخلفات المرحوم المثال مختار . وأخيراً رأت إدارة المتحف اختيار مكان مؤقت لهذه المخلفات ريثما يعتمد المال اللازم لإنشاء مبنى لها ، وقد تقرر أن يكون ذلك المكان المؤقت هو السكن الملحق بالمتحف

وستكون نواة متحف مختار الذى يقام عما قريب فى ذلك المكان ، ما يوجد الآن من تماثيله فى معرض الفن الفرنسى القائم على أرض الجمعية الزراعية بالجزيرة ، وذلك إلى أن ترسل الحكومة فى طلب بقية آثار مختار من باريس

ويتجه الرأى إلى استعارة التماثيل التى باعها مختار لبعض الهواة لتعرض فى متحفه لآجال معينة على أن تحمل خلال عرضها أسماء أصحابها . وسيضم المتحف إلى جانب التماثيل زى مختار والأدوات التى كان يستعين بها فى عمله ، ونموذجاً من حياته الخاصة

أعلام الدراما فى مصر

كتبت القنصلية الملكية المصرية بسان فرنسسكو إلى وزارة الخارجية تنبئها بأن جمعية القلم النسائية الأمريكية قد طلبت إليها موافاتها بأسماء أعلام فن « الدراما » فى مصر رغبة منها فى ضم أسمائهم إلى زملائهم فى مختلف الممالك والأقطار

وطلبت الجمعية أن تتعرف مركز هذا الفن فى مصر بعد أن طغت السينما على المسرح وهل لا زالت « الدراما » محتفظة بمكانتها فى البلاد

وقد أحيل هذا الطلب إلى وزارة المعارف للنظر فيه ولعلها تحيله هى أيضاً على إدارة الفرقة القومية لتقول لها كيف قضت على بعض أعلام الدرامة بالخمول وحكمت على البعض الآخر بالتشريد

مستشرق ألمانى

يزور مصر الآن الدكتور جوستاف نيوهاوس ، أحد أساتذة معهد اللغات الشرقية فى برلين

ومما يذكر عن الدكتور نيوهاوس أن له مؤلفات كثيرة فى اللغة « السواحلية » وأبحاثاً طريفة عن بلاد زنجبار ودار السلام وآثار العرب فيها ، كما أخرج أخيراً كتاباً عن رحلته من مصر إلى بلاد شرق أفريقيا

جماعة الأخوة الإسلامية

اجتمع فى اليوم الحادى عشر من فبراير أعضاء جماعة الأخوة الإسلامية برآسة الدكتور عبد الوهاب عزام فى دارها (قبة الغورى) وحضر الاجتماع كبار العلماء ورجال الإسلام من أربعين قطراً إسلامياً .

وتكونت هيئة المكتب من ممثلى : مصر والحجاز والهند ، ويوغسلافيا والصين وألبانيا والعراق واليابان وكردستان وبلغاريا وأفريقيا ورومانيا واليمن ومنشوكو وفلسطين واندونسيا وبولونيا وافغانستان وطرابلس الغرب وجبل أورال وسودان وجزيرة لفزيه وحضرموت وإيران وروسيا والحبشة والشام وتركيا وملايو وسيام وشرق الأردن وسيلان والجزائر ومراكش وملديفيا والبحرين وقفقازيا وأناضول وبنغال .

افتتح الحفل بآى الذكر الحكيم ثم قام الدكتور عبد الوهاب عزام فبين أغراض الجماعة ، وتلاه من الخطباء : الأستاذ طنطاوى جوهرى ، فتكلم فى الإسلام والسلام العام ، ثم الشيخ عبد المتعال الصعيدى ، ثم الشيخ صاوى شعلان ، ثم الأستاذ أحمد بك خليل ، والأستاذ محمود جبر ، والدكتور عبد العزيز عزام ، ثم الدكتور ميرزا فضل الله الإيرانى .

وتألفت اللجنة الأساسية من : الدكتور عبد الوهاب عزام رئيساً والأستاذ محمد أمين نور الدين بك المحامى وكيلاً والأستاذ ابراهيم عثمان مراكش مراقباً عاماً . والأستاذ محمد حسن الأعظمى الهندى مراقباً مالياً . والأستاذ اسماعيل حنفى البلغارى خازناً . والأستاذ عمر وجدى كبردى سكرتيراً . والأستاذ يوسف عبد الله قريمى أميناً للمكتبة

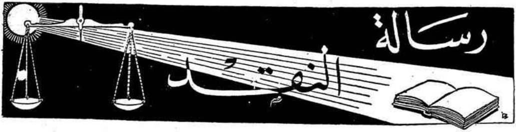
حياة الرافعى

يصدر فى هذا الأسبوع كتاب « حياة الرافعى » وسيرسل إلى حضرات المشتركين الذين سددوا قيمة الاشتراك ونفقات البريد ؛ أما الذين لم يسددوا إلا قيمة الاشتراك فقط ، فيمكنهم الحضور إلى إدارة الرسالة ليتسلموا النسخ التى اشتركوا فيها .

اللجنة العليا لقرش فلسطين

اجتمعت اللجنة العليا لقرش فلسطين فى الساعة السابعة والنصف من مساء يوم الأحد ٢٣ من ذى الحجة سنة ١٣٥٧ ﻫ والموافق ١٢ فبراير سنة ١٩٣٩ بدار المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين ، وانتخبت حضرة الأستاذ الدكتور عبد الحميد سعيد رئيساً والأستاذ عبد المجيد بك ابراهيم صالح سكرتيراً عاماً وحضرة صاحب العزة ميرزا مهدى رفيع مشكى بك أميناً للصندوق والوجيه محمد أفندى حسين الرشيدى مساعداً لأمين الصندوق وحضرات أصحاب السعادة الأستاذ محمود بك بسيونى وعبد الخالق مدكور باشا ومحمد فهمى الناضورى باشا واللواء أحمد قطن باشا وأصحاب العزة الأستاذ الشيخ أحمد ابراهيم بك ومحمد عيد بك وأصحاب الفضيلة الشيخ عبد الوهاب النجار والشيخ محمد عبد اللطيف دراز والأستاذ حسن البنا وحضرات الدكتور محجوب ثابت والدكتور نجيب اسكندر والأستاذ عبد القادر العبد والأستاذ أحمد السكرى أعضاء

وألفت لجاناً فرعية :



في سبيل العربية

كتاب البخلاء

للأستاذ محمود مصطفى

— ١ —

من فوق هذا المنبر العالي والمنار القائم للغة الضاد (وهو صحيفة الرسالة الغراء) نرفع صوتنا مرة أخرى في سبيل العربية، وقد كنا تعرضنا تحت هذا العنوان لنقد كتب يصدرها بعض رجال وزارة المعارف المصرية، وتقرها الوزارة لطلابها .

عدنا اليوم لمثل عملنا في العام الماضي ، ولكن في طريق شائكة وخطة ملتوية . تلك هي نقدنا للغويين الكبيرين والعالمين الفاضلين : صاحبي العزة أحمد العوامرى بك ، وعلى الجارم بك المفتشين الأولين للغة العربية بوزارة المعارف، وعضوى المجمع الملكى اللغوى بالديار المصرية

وقد جئنا ننقدهما فى عملهما الذى تآزرا عليه وأفرغا جهدهما فيه ، فكان لا بد أن يجيء مظهراً لفضلهما وصورة صادقة لهذه المهارسة الطويلة للعربية وآدابها ، هذه المهارسة التى كانت منهما فى هذا العمر المديد والزمن المتطاول ، وكنا ننوى أن نتخذ من أقوالها وآرائهما حججاً فى العربية نضيفها إلى أقوال فحول اللغة السابقين ...

ذلك ما فتحنا صدورنا له واستعددنا لتلقيه حين بدأنا نقرأ تعليقهما على كتاب البخلاء للجاحظ الذى وكلت وزارة المعارف المصرية إليهما أمر إخراجه فى صورة واضحة تقرب إلى أهل جيلنا أدب القرن الثالث للهجرة ، وتحبب إلى قرائنا الزاهدين فى هذا الأدب أن يقبلوا عليه ويستجلوا جماله الفاتن .

توقعنا ذلك من هذين العالمين الفاضلين اللذين جمعا إلى الثقافة العربية ثقافة غربية ، ولم يدر بخلدنا إلا أن يكون عملهما فى خدمة هذا الكتاب مزجاً حسناً لهاتين الثقافتين وتجلية لهما فى ثوب عصرى شائق

ولكننا لم نلبث حين نظرنا فى الكتاب أن رأينا جهداً نحوياً عنيفاً أغرم فيه المخرجان بتعقب الجاحظ ، يعربان أدبه الراق وفكاهاته الظريفة ، ويعتديان على ذلك البيان الواضح بقولهما إنّ أنْ هذه مفسرة وتلك مخففة من الثقيلة ، والتعليق على « كان » بأنها مرة تامة وأخرى ناقصة إلى غير ذلك من مسائل الإعراب التى زهدت الطلبة فى العربية إبان طلبهم للعلم بالمدارس . فإذا بالمخرجين لم يكفهما إلحاح بعض المدرسين فى ذلك على طلابهم حتى زادا الإبالة ضغثاً والكيل طفحاً

لجنة الدعاية : برياسة حضرة الدكتور محجوب ثابت

لجنة الحسابات : برياسة حضرة صاحب العزة ميرزا مهدى رفيع مشكى بك

ولجنة المتطوعين : برياسة الوجيه محمد حسين الرشيدى أفندى

ورأت أن توزع الطوابع يوم ١٥ من المحرم سنة ١٣٥٨ هـ وهى تهيب بطبقات الشعب أن تساهم فى هذا المشروع الإنسانى الجليل لتخفيف جراح فلسطين الشقيقة المجاهدة كما تدعو شباب الأمة الناهض فى مختلف طبقاته إلى المسارعة للتطوع والقيام بما يفرضه الواجب نحو فلسطين المجاهدة

وما ندرى كيف اجتمع فى صدر هذين الرجلين أو صدر أحدهما على التحديد هذا الإلحاح فى مسائل الإعراب ، مع الرغبة فى تيسير قواعد اللغة العربية وقد كان أول مظاهرها عند هؤلاء الميسرين إهمال ذلك الإعراب !

والكتاب إلى ذلك مظهر آخر لهذا الذى يسمونه تطبيقاً على البلاغة فما تزال ترى فى تعليقاتهما أن هذا التركيب استعارة وذلك تشبيه أو مجاز بالحذف أو إطناب أو إيجاز ، وكأنما ظن المخرجان أن الجملة لا تفهم إلا إذا أعربت، ولا تقدر قيمتها فى البيان إلا إذا طبقت عليها علوم البلاغة بوضعها الذى نعرفه . ولسنا نحرم على شراح كتاب ككتاب البخلاء أن تكون منهم إشارة إلى مثل ذلك ، ولكن حضرتى المخرجين أسرفا فى ذلك حتى صح فى نظرى أن أعتبر هذا الشرح كراسة تطبيق على النحو والبلاغة . وصرت أعد نفسى حين قراءته طالباً من طلاب الشهادة الثانوية أتزود للامتحان قبله بأيام . وهذا إسراف فى حق الأدب أو الأدب الرفيع الذى إن صدق على شىء فأول ما يصدق عليه هو كلام الجاحظ

وليت المخرجين حين فعــلا ذلك كانا موفقين إلى الصواب سالكين النهج الجدير بمكانتهما بين أهل العربية فى عصرنا ! ولكن الذى كان موضع العجب أنهما زلا فى كثير من هذه المواضع التى أرادا أن يدلا بمعرفتهما فيها على جمهور الأدباء ممن يجهلون أو يتجاهلون ذلك .

كان هذا حقاً موضع العجب من أمر رجلين عظيمين قضيا حياة طويلة فى نقاش المعلمين ، ومحاسبتهم على عباراتهم وإشاراتهم ، حتى كان للهمزة توضع فى غير موضعها ، وحرف الجر ينوب عن غيره مشادات ومصاولات ، ثم فوز لهذه الاعتبارات الهينة يظهر أثره فى التقارير ، فإذا هذا المعلم مهمل لأنه لا يعنى بوضع الهمزات مواضعها ، وإذا بذاك مجيد لأنه راعى رغبة المفتشين فى هذه الدقة وتلك الشدة .

قلنا إن طريقنا فى نقد المخرجين كانت شائكة ، وإن الخطة كانت ملتوية ، وما قصدنا فى هــذا إلى صعوبة المآخذ وغموض الصواب علينا ، فقد والله قيدنا ملاحظاتنا فى أثناء قراءة هادئة لم نقصد منها إلا التمتع بأدب الجاحظ واللهو بفكاهته ، فإذا المآخذ تنادينا وتقول خذونى !

وإنما شاكت الطريق والتوت الخطة لأننا اضطررنا فى سبيل العربية أن ننال من علمين من أعلامها بيننا ؛ ولم يكن نيلنا فى أمور يحتمل فيها الخطأ ، أو يقبل اعتساف الرأى لدقة المسلك أو حلكة الشبهة ، بل قد وجدنا هذه المآخذ يشتد العيب فيها على ناشئ فى العربية لا يزال يتعثر فى ذيول الإعراب والتطبيق ، فآلمنا أن نجرح بمثل هذه المآخذ عالمين فاضلين من أفذاذ المصريين فيما نصبا أنفسهما له ، وتصديا للرياسة فيه من علوم .

وقد كنا هممنا أن نبوب للقارئ هــذه المآخذ فنجمع متشابهاتها تحت عناوين تشملها : فهذا عنوان الأغلاط النحوية، وذاك عنوان المآخذ اللغوية ، وذلك باب الفهم النابى أو الترجيح للمرجوح و ... ولكننا رأينا أن نجعل مآخذنا تساوق صفحات الكتاب ، فكلما مررنا بواحدة منها تكلمنا عنها وبينا وجه الصواب فيها

***

فى أول صفحة من الكتاب فى تعليل ذكر نوادر البخلاء بين جد وهزل « لأجعل الهزل مستراحاً ، والراحة جماماً » .

وفى التعليق على هذه العبارة يقول الشارحان : الجمام : الراحة

وهذا التفسير ظاهر الخطأ لأنه ينتهى بالجملة إلى أن تكون هكذا : لأجعل الراحة راحة ، وهذا غير جائز فى حقيقة ولا مجاز

ومأتى هذا الخطأ من الشارحين أنهما وجدا فى كتب اللغة تفسير الجمام فيما تفسره بالراحة ، فارتاحا إلى هذا وفاتهما أن هذه الكتب عينها تفسره أيضاً باجتماع النشاط وتراجع القوة . تفهم ذلك من قول القاموس : جمت البئر تراجع ماؤها ، والفرس ترك الضراب فتجمع ماؤه ، وترك فلم يركب فعفا من تعبه ... فهذه العبارات تفيد معناناً صراحة وتعفينا من تفسير الماء بالماء كما حصل من حضرتى المخرجين

وفى ص٢٦ مسألة ذات بال سيتعب القارئ من تتبعها ولكنها ستنتهى به إلى نتيجة شديدة على الشارحين، فليجمل حكمه على فهمهما ووقوفه على مقدار ذوقهما ثمناً لهذا التعب

قال الجاحظ « فأما ما سألت من احتجاج الأشحاء ونوادر أحاديث البخلاء فسأوجدك ذلك فى قصصهم إن شاء الله تعالى

مفرقاً وفي احتجاجاتهم مجملاً ، فهو أجمع لهذا الباب من وصف ما عندي دون ما انتهى إلى من أخبارهم على وجهها وعلى أن الكتاب أيضاً يصير أقصر ويصير العار فيه أقل »

قال الشارحان « فهو إلخ : الضمير عائد إلى (ذلك) أي أن احتجاج الأشحاء ونوادر أحاديث البخلاء منبثة في قصصهم مفرقة ومجملة — أجمع لهذا الباب (باب البخل) من وصف إلخ والجار والمجرور في قوله من وصف حال من « ذلك » في قوله : فسأوجدك ذلك و (دون ما انتهى) حال من وصف ما عندي . والمعنى سأطلعك على ذلك حال كونه من وصف ما عندي من مشاهدات أحوال البخلاء ونتائج معاشرتي إياهم وسيكون هذا غير ما سأذكره أيضاً مما انتهى إلى من أخبارهم »

تدبر أيها القارئ عبارة الشارحين واعصر ذهنك في ضمائرها وإشاراتها وأحوالها ومتعلقاتها فإن محاولة إفهامك مرادها شاقة عسيرة إلا إذا اجتمعنا أمام سبورة أكتب لك عليها الجملة بالأحمر والأصفر وأجعل أتنقل بك من ضمير إلى اسم إشارة واصلا هذا بذاك حتى تفهم المراد

ولكن ينبغي أن تعلم أن السر في هذا التعقيد هو عدم اهتدائهما إلى مرجع الضمير في قوله : « فهو أجمع . . . » كذلك اعتبارها الجار والمجرور « من وصف » متعلقاً بحال من « ذلك » . وقد أوقعهما هذا التقدير في مشكل نحوي لم يلتفتا إليه وهو وقوع اسم التفضيل المنكر المجرد من الإضافة ، بدون من تالية له جارة للمفضل عليه ، كما تقول : محمد أكرم من علي ، فيكون (من علي) متعلقاً بأكرم وهذا ملتزم في مثل ذلك التعبير .

أما الذي نقوله في عبارة الجاحظ فهو أن الضمير في قوله « فهو أجمع » يعود على مصدر الفعل « أوجد » والجار والمجرور « من وصف » متعلق باسم التفضيل « أجمع » فيكون المعنى : إن إيرادي لقصصهم واحتجاجاتهم أشمل لهذه النوادر من أن أقتصر على إيراد ما عاينته بنفسي من أحوالهم ، مع ترك ما وصل إلى من أخبارهم عن طريق الرواية ، إذ أني لو اقتصرت على إيراد ما عاينته وحده ما استطعت أن أذكر شيئاً كثيراً فيقصر الكتاب ،

كذلك مشاهداتي وحدها لا تمثل شناعة فعل البخلاء كما تمثله الحكايات التي تناقلها الناس عنهم لصحة اتهام الفرد بالكذب أو المبالغة ؛ فأما إذا تواترت الأخبار واجتمع عليها جم من الناس فذلك أقوى لها وأشد في تصور شناعتها .

ولا نترك هـذا المقام حتى ننقل لك ما علق به الشارحان على قول الجاحظ في نهاية العبارة « وعلى أن الكتاب أيضاً يصير أقصر ويصير العار فيه أقل » قالا حفظهما الله : « وعلى أن إلخ . (على) للتعليل هنا ، وهو تعليل لاقتصاره على ما عرفه عن البخلاء ، وما وصل إليه برواية صحيحة من أخبارهم » .

وقد بان لك من كلامنا كيف أن هـذه العبارة الأخيرة من الشرح مضطربة إلى أبعد غايات الاضطراب ، إذ كيف يقصر الكتاب لو ذكر الجاحظ ما عرفه عن البخلاء وما رواه من أخبارهم ! وهل يبقى بعد ذلك شيء يذكر ؟!

« للكلام بقايا »

محمود مصطفى
المدرس بكلية اللغة العربية



الفرقة القوميـــة

لا غرضاً ثقافياً حققت
ولا روائع المسرحيات الأوروبية أذاعت

الأستاذ ابراهيم رمزى ، مدير التعليم الحر ، واحد من أوائل الأدباء الذين عنوا بإحياء المسرح المصرى ، وبذلوا فى سبيله جهوداً ذات قيمة ، وغيرة كان يجب أن تقابل بالثناء الخالص والشكر الجزيل . إلا أن عوامل لا أعرف بواعثها — قد تكون مادية لبست جلباباً على غير قدها — قد حولت الأستاذ رمزى عن طريقه القويم ، فجعلته يسلك مسلكاً فى التأليف باللهجة الدارجة وفى تجريح الفصحى أراه ويراه معى كل غيور على اللغة العربية التى ارتضتها مصر وسواها من الأقطار المجاورة أو النائية عن شبه جزيرة العرب ، أن تكون لغتها الدينية والقومية ولغة حكوماتها الرسمية . إنه خروج على آدابها وقواعدها ، ونكوص يخالف سنن الترقى والتقدم ، ولوثة تلوث نهضة مصر الثقافية ، وما خلا ذلك فالأستاذ رمزى ما برح يعمل للمسرح المصرى بروح الأديب المخلص لفنه

قلت له : الفرقة القوميـة مؤسسة حكومية ، هل حققت الغرض الثقافى والفنى ، وهل عملت على ترقية المسرحية المصرية وأذاعت روائع المسرحيات الغربية ؟ فأجاب :

— ليس من السهل الجواب على هذا السؤال إلا إذا استهدف الإنسان لعتاب الأصدقاء والأحباب ، ولكنى تعودت أن أكون صريحاً فيما له علاقة بمصلحة قومى ووطنى ، ولذلك لا أتردد فى أن أقرر :

(١) أن الفرقة القومية لا تستطيع أن تحقق غرضاً ثقافياً كبير الشأن فى هذه المدة القصيرة لأنها إنما تعمل حتى الآن لجمهور المثقفين وعلية المصريين الذين ليسوا فى حاجة إلى تثقيفها . على أنى لا أدرى كيف ينتظر منها التثقيف وهى إلى اليوم لم تتخط القصة المترجمة والمقتبسة التى لا علاقة لها بمجتمعنا المصرى ، كما أنها على كثرة ما أخرجت لا تشتغل إلا أياماً معدودات فى العام كله وتقتصر على مدينة القاهرة ولا تنتقل إلى أى بلد من عواصم المديريات .

لا يا سيدى ، الفرقة لم تحقق غرضاً ثقافيا ولن تحقق غرضاً ، وأحب أن أقول هنا إن القيود الكثيرة التى كبلت بها أيدى المشرفين عليها ، والمبادئ العجيبة التى تتحكم فى مراميها ، لا يمكن أن تنهض معها فرقة بعمل كالذى يرمى إليه اسمها . وأعتقد فى النهاية أنها فرقة موجودة وعمل من الأعمال التى لها نظائر فى بلدنا ينفق عليه لقصد عظيم لا يتحقق منه شىء كثير

أما تحقيقها الغرض الفنى فكل ما يمكن الإجابة فى صدده أن الممثلين يقومون بأدوارهم أحسن قيام ، والإخراج لا بأس به لأنه ليس إلا نقلاً لإخراج ظهرت به فى فرنسا الروايات المعربة وأكثرها منقول عن الفرنسية

جوابى عن سؤالك : هل عملت الفرقة على ترقية المسرحية المصرية وإذاعة روائع المسرحيات الغربية ، هو : لا ، ثم لا ، وأخيراً لا ، لأنه بلغ من المشرفين على هذه الفرقة (وعندهم الروايات المؤلفة) أن يؤثروا عليها الروايات المقتبسة والمنقولة ومنها السخيف وغير السخيف لسبب واحد هو أن مخرجهم أوربى ، ولأن إخراج الروايات العربيـة ليس فى مقدوره ، وإخراج الروايات المصرية يحتاج إلى من يدرك دخائل الظروف المحلية ، ولأن المشرفين

على هذه الفرقة ليسوا كلهم ممن يشعرون تمام الشعور بالواجب القوى فى هذا الزمن الأسود .

أما كونها أذاعت روائع المسرحيات الغربية ، فالجواب عنه: لا يصح أن يكون ذلك مؤاخذة للفرقة لأنها لم تظهر منها إلا القليل وذلك بحكم الضرورة ، فالروائع لا عد لها وهى لم تتأسس إلا منذ أربعة أعوام، على أنها تميل الآن إلى التقرب من الجمهور فهى تعطيه شيئاً من غير الروائع يستطيع أن يستمتع بما فيها من بساطة سطحية

قلت : إذن هل أنت متفائل ؟

فأجاب : كلا لست بمتفائل ، لأن الهمة الواجبة لمثل هذا العمل الذى تمده الحكومة بمالها وجاهها وقوتها يحتاج إلى نفوس أقوى ، وأيد أشد ، وعزائم غير هذه العزائم ، عزائم مخلصة فعلاً ومضحية فعلاً

على أنى يا سيدى وقد وضعت للمسرح ما تعلم من القصص التاريخى الكثير وغيره من القصص العصرى باللغة العربية السليمة أعلن جهاراً أن المسرح المصرى يجب أن يكون أولاً للشعب أى للتسعين فى المئة من أهله من المصريين، أى باللغة الدارجة المهذبة ومكملة بما تحتاج إليه من الألفاظ فى اللغة العربية السليمة كما نفعل الآن فى أحاديثنا وخطبنا ومساجلاتنا ونترك هذا النفاق الذى نعيش عليه فى هذه الأيام !

أما العشرة الباقية فى المئة فحسبهم هذه الفرقة القومية ورواياتها ولغتها العربية القرشية أو لاتينية الشعوب الشرقية[1]

انتهى كلام الأستاذ إبراهيم رمزى بنصه . وعندى حديث ممتع للأستاذ عمر سرى بك تناول فيه هذه الناحية تناول الرجل الخبير وأوضح موقف وزارة المعارف المتناقض فى مساعدتها للفرقة القومية الحريصة على اللغة الفصحى وفى مساعدتها لفرقة أخرى تعمل على ترويج العامية . وسننشره قريباً

ابن عساكر

(١) الرسالة : هذا كلام غريب ، وصدوره من أديب أغرب !

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }